

عقيدة السَّلام

وحيد الدين خان

نقله إلى العربية
بسام عثمان أحمد أبو زيد



عقيدة السلام

وحيد الدين خان

نقله إلى العربية
بسام عثمان أحمد أبو زيد

العبيكان
Obekkan

Original Title
The Ideology of Peace

Author:
Maulana Wahiduddin Khan
Copyright © 2002 by Maulana Wahiduddin Khan

ISBN-13: 978-81-7898-129-7

All rights reserved. Authorized translation from the English language edition
Published by GOODWORD BOOKS, Al-Risala, 1 Nizamuddin West Market, New Delhi- India
حقوق الطبعة العربية محفوظة للبيكان بالتعاقد مع جود ورد بوكس. نيودلهي، الهند.

© **العبيكان** 2011 - 1432

شركة العبيكان للتعليم، 1434هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خان، وحيد الدين

عقيدة السلام، /وحيد الدين خان:

بسام عثمان أحمد أبو زيد - الرياض 1434هـ

136 ص: 21 × 14 سم

ردمك: 5 - 525 - 503 - 603 - 978

1 - الإسلام - مبادئ عامة 2 - الأخلاق الإسلامية

أ. أبو زيد، بسام (مترجم) ب. العنوان

ديوي: 211 رقم الإيداع: 1434 / 4787

الطبعة العربية الأولى 1437هـ - 2016م

الناشر **العبيكان** للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

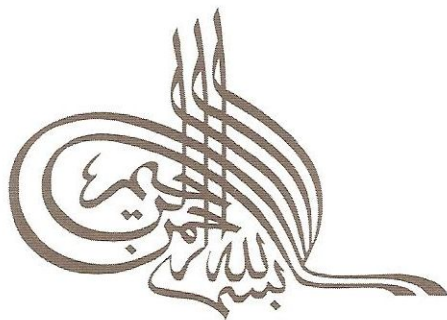
متجر **العبيكان** على أبل

<http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store>

امتياز التوزيع شركة مكتبة **العبيكان**

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 - فاكس: 4889023 ص.ب: 62807 الرياض 11595



قائمة المحتويات

- 11..... مقَدِّمة
- 15..... الفصل الأول: عقيدة السَّلام
- 23..... الفصل الثاني: السَّلام والعنف
- 24..... الفرق بين السَّلام والعنف
- 26..... الفرق بين العصرين الزراعيِّ والصناعيِّ
- 28..... ثمن السَّلام
- 30..... السَّلام قوَّة عظمي
- 31..... المصالحة هي الأفضل
- 35..... الفصل الثالث: طرائق السَّلام ووسائله
- 35..... التسامح هو السَّلام
- 36..... التجنَّب لا المواجهة
- 37..... النهج المعتمد
- 38..... تحويل العدو إلى صديق
- 39..... نظام السبب والنتيجة
- 40..... دَعَّ قانون الطبيعة يأخذ مجراه
- 41..... سياسةٌ عفا عليها الزمن
- 42..... العنفُ نتيجةٌ للكراهية

- 43.....سياسات العنف الدينيّ.
- 44.....من الانتقام إلى العنف
- 46.....صيغة للسّلام الاجتماعيّ.
- 47.....الإرهاب - سلوك همجيّ.
- 51..... الفصل الرابع: القبول الإيجابيّ بالوضع الراهن
- 51.....الورود وأشواكها
- 53.....سياسة فك الارتباط
- 53.....أوجه التفكير الإيجابيّ
- 54.....الغضب ضعف
- 55.....أسلوب اللاعنف
- 56.....فوائد السّلام
- 57.....حلّ مشكلة العداوة.
- 58.....العنف نتيجة للإحباط
- 59.....العنف غير ضروري
- 60.....الصبر سرّ النجاح
- 61.....سياسة موجهة نحو المستقبل
- 62.....تجنّب الخلاف
- 65..... الفصل الخامس: معارضة سنّة الخلق
- 67.....النصر؛ هزيمة أيضًا

قائمة المحتويات

- 68..... انتهى عهد الحروب.....
- 70..... بيان للسلام
- 71..... ما السلام؟.....
- 72..... السلام نظام كامل في قواعد السلوك.....
- 73..... السلام يحوّل الرديء إلى حسن.....
- 74..... الطريق إلى تحقيق السلام.....
- 75..... ثمن السلام.....
- 76..... الطبيعة نموذج للسلام
- 77..... عالم الطبيعة الجميل.....
- 78..... السلاح النووي، من أجل ماذا؟.....
- 79..... السلام سلوك إيجابي.....
- 80..... الراحة الروحانيّة.....
- 80..... السلام حقّ الإنسان المطلق.....
- 81..... الفصل السادس: السلام في الطبيعة.....
- 82..... نظام الطبيعة.....
- 83..... قانون التحوّل.....
- 87..... الفصل السابع: السلام في الأديان المختلفة.....
- 87..... السلام في الديانة اليهوديّة.....
- 90..... السلام في الديانة المسيحيّة.....

- 91..... السّلام في الديانة الهندوسية
- 93... التسامح بصفته إحدى القواعد الأساسية في الديانة الهندوسية
- 94..... السّلام في الديانة البوذية
- 97..... الفصل الثامن: السّلام في الديانة الإسلامية
- 98..... السّلام من أسماء الله تعالى
- 98..... لا تطرّف
- 99..... قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً
- 100 إطفاء نار العنف
- 101 الحرب للدّفاع
- 103 إقناع سلمي لا إكراه
- 104 الالتزام بالحقيقة مع الصّبر والمثابرة
- 105 اعتماد نهج المصالحة
- 106 لا فساد على هذه الأرض
- 107 الرزق الأكبر
- 109 إسكات التذمّر مباشرة
- 110 رحمة للعالمين
- 111 السّلام في الظروف كافة
- 112 مواطنون مسالمون
- 113 لا مواجهة مع العدو
- 114 الأسلوب السلمي هو الأفضل

قائمة المحتويات

- 115 حدود الاختلاف
- 116 فضيلة المرونة
- 117 إثبات بدهي
- 119 الفصل التاسع: رحلة نحو السّلام
- 124 خطاب في مؤتمّر لندن
- 127 بداية عهد جديد
- 131 الفصل العاشر: مركز السّلام الدولي

إنَّ السَّلامَ ليس مجرد موضوع أكاديميٍّ في نظري؛ إنه هدف وجوديٌّ، ولطالما حلمت بالسَّلام بقدر ما أتذكَّر. أستطيع القول بكل صدق: إنني ولدت مسالماً، وأحيا حياةً محبَّةً للسَّلام، حياةً طالما كانت مصدراً للعزاء الروحيِّ عندي. وباختصار، فإنَّ مهمَّةَ حياتي قد تُسمى مهمَّةَ سلام.

وبطبيعتي، فقد كنت دائماً نباتياً. إن القتل والعنف أمران كريهان في طبيعتي الفطريَّة، إنني أشعر بأنَّ مثل هذه الأفعال قد لا تكون متوافقة مع جيناتي الوراثةية. ولربَّما ولدت بمثل هذه الطبيعة التي تجعلني حسَّاساً جداً تجاه هذه المسألة؛ لكي ألاحظ أهميَّتها، وأمارس دوري كاملاً في مهمَّة السَّلام هذه.

لقد عرفني الجميع طيلة حياتي شخصاً مسالماً، محباً للسَّلام. وفعلاً، فإنَّ أيَّ حدث عنف كان يؤثِّر فيَّ لدرجة تجعلني أبكي، سواء حدث ذلك العنف في وطني أم في خارجه، وسواء كان الضحايا معروفين أم غير معروفين لدي.

لقد صادفت كثيراً من مثل هذه الحوادث في حياتي. وسأسرد إحداها لتوضيح وجهة نظري.

في أحد الأيام، عندما كنت شاباً، أراد أخي الأكبر وأصدقائه الخروج في رحلة صيد، وقد أصرَّ أن أذهب معهم حينئذ، بحيث لم يترك لي خياراً آخر. آنذاك انطلقنا في سيارتين، وبعد مضيِّ قُرابة الساعتين، مررنا بأطراف المدينة وحقولها وبساتينها، عندئذٍ ابتداءً أخي بصيد الطيور الموجودة في

أعالي الأشجار، ثمّ إنّ أخي وأصدقاءه أعطوني بندقيّة، وطلبوا إليّ أن أصوّب على طائر جالس على قمّة شجرة، وقد فعلت ما طلبوا؛ حيث ثبّت البندقيّة بكتفي، وصوّبت على الطائر. ولكن، وحين أصبح الطائر في مدى رمايتي تماماً، انتابني شعور غريب بعدم الراحة، بحيث لم أتمكّن من الضغط على الزناد، فعمدت إلى تسليم البندقيّة إلى أخي. بعد ذلك، شعرت بثقل في صدري؛ فاستأذنت أخي وأبناء عمومتي في المشي قليلاً، وما إن ابتعدت عنهم مسافة لا تسمح لهم برؤيتي، حتى ركبت حافلة وعدت إلى المنزل في (الله أباد). إنني مسالم، لكنّ سلميّتي ليست ذات طبيعة استراتيجيّة، وهي ليست صيغة لتبرير الدعم في حالة والمعارضة في حالة أخرى.

إنّ سلميّتي تمتدّ إلى البشريّة كافة؛ حيث إنّ لها قيمة إيجابيّة بكلّ ما تعنيه الكلمة. إنها جيّدة بالمطلق، وهي تبني عندي قاعدة الخير كله؛ فهي ليست نظريّة مجردة، بل إنها جزء من لحمي ودمي، وهي ألم قلبي. ومن ثمّ فهي حياتي وصوت روحي. لقد رويت نبتة السّلام بدموعي، وعشت حياتي كاملة لأجل قضية السّلام، وأريد أخيراً أن أموت لأجل هذه القضية.

لقد ابتدأت المرحلة العامة لمهمّتي للسّلام في الثامن والعشرين من شباط 1955م، عندما انعقد اجتماع عامّ في مدينة لكتاوا التاريخيّة؛ إذ أقيمت في ذلك الاجتماع خطاباً ابتداءً بالكلمات الآتية: (إننا نقف على عتبة عهد جديد؛ عهد سيُسمّى المؤرّخون مستقبلاً العهد الذري، ولكن قد لا ينجو أيّ من أولئك المؤرّخين ليروي حكاية دمار البشريّة). لقد نُشر هذا الخطاب عام 1955م على صورة كتيّب بعنوان: على عتبة عهد جديد .

وبعد الحرب العالميّة الثانية، غطت الكأبة نصف القرن اللاحق خوفاً من خطر الحرب الذريّة. ومع هذا، فإننا نعمم بطمأنينة كبيرة: كوننا دخلنا عتبات القرن الواحد والعشرين، والأمل يملؤنا بتفادي خطر الحرب الذريّة، وأنّ عهداً جديداً للسلام قد ابتدأ في أرجاء العالم كلّه. إنّ هذا الكتاب هديّة للجيل الجديد من رجل محبّ للسلام، يحاول فيه أن يعرض عقيدة حياة كاملة تستند إلى السّلام، يمكن تلخيصها في هذه الكلمات: إنّ السّلام ليس خياراً؛ إنه قدرنا. فإمّا أن نعيش في سلام أو ندمر أنفسنا بتركة. وممّا لا يمكن إنكاره في هذا العالم أنّ المستقبل للسلام فقط، ولن يكون هناك مستقبل للحرب والعنف.

وحيد الدين خان

نيودلهي

19 تموز 2002م

الفصل الأول: عقيدة السّلام

على الرّغم من أنّ التّاريخ يحفلُ بدعاةِ السّلام، فإنّ من الصّعب أنّ نجد بين طيّاته مُفكراً أو داعية كانت لديه القدرة على إبراز مفهوم السّلام فكراً وعقيدةً كاملةً متكاملةً. ولعلّ هذا على مرّ العصور، كان السّبب الحقيقي وراء عدم تقديم المفهوم الدقيق للكلمة والمبني على أسس السّلام. ومع وجود عددٍ لا بأس به من محبي السّلام، فإنّ تأسيس مجتمعٍ مسالمٍ على نطاقٍ واسعٍ لم يصبح قطّ حقيقةً ملموسةً. ولعلّ حقيقة أنّ مصالح الإنسان تترافق دائماً مع وجود السّلام، هي سبب رغبة كلّ فردٍ في المجتمع في الحصول على بيئةٍ مسالمةٍ وحياةٍ آمنةٍ تحقيقاً لمصالحه الشخصيةً.

لكنه يواجه، وعلى نحو متكرّر، مثل هذه الحالات المتنوّعة، بحيث يحتاج إلى عقيدةٍ للسّلام ليهتدي بها. أمّا أنّ السّلام حاجة بشرية، فإنّ هذا لا يجعله كافياً ليمارس سياسة ضبط النفس، وأن يبقى مسالمًا في الحالات جميعها؛ فهو بحاجة إلى عقيدة تقنعه، وعلى مستوى الإدراك بضرورة المحافظة على السّلام في الأوقات كلها.

نستطيع أن نجد أمثلة على هذا من تاريخنا البشري. ولناخذ الديمقراطيّة مثلاً. فلطالما دافع الإنسان على نحو فطريّ عن فكرة التنظيم الديمقراطيّ، والأمثلة من التاريخ البشريّ موجودة؛ حيث أسّس مثل هذا النظام بنجاح، ولو على نحو جزئيّ. ولكنّ وصول ثورة كاملة مبنية على أسس الديمقراطيّة أصبح حقيقة فقط، عندما قدّم مفكرو أوروبا الحديثة هذه الآمال والطموحات البشريّة على شكل عقيدة متكاملة.

وحالة السّلام هي حالة مشابهة هنا؛ حيث إنّ السّلام كان يُعدّ حاجة بشرية لمختلف العصور. ومع هذا، وفي الوقت الحالي، فإنّ السّلام أصبح حاجة ماسة لبقاء الجنس البشري؛ حيث إنه أصبح فعلياً مسألة حياة للبشرية أو موت. فالسّلام يعني الحياة، وغيابه يعني الموت.

إنّ هدف الكاتب هنا هو أن يقدم السّلام في صورة عقيدة متكاملة، عقيدة توقظ الوعي البشري - عقيدة قادرة على توفير الحلول المستتقة من السّلام لمشكلات الحياة كلها، وقادرة أيضاً على وصف الأهمية الملحّة للسّلام بدءاً من مستوى الفرد، ووصولاً إلى مستوى المجتمع. وبذا، فإنّ السّلام هو مطلب السابق لكلّ أنواع التقدّم البشري. فبالسّلام نتقدّم، ومن دونه يكون الدمار.

إذن، ما ضرورة وجود عقيدة للسّلام؟

هناك سببان رئيسان لذلك. فعندما يؤكّد الإنسان هدفاً ما، فإنّه يتبنّى عاملاً معيناً ويهمل آخر. وهذا يحدث بالافتناع فقط في حال توافر التسويغ النظريّ الواضح. ومن غير هذا، فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يكون متحمّساً لقبول أو رفض أيّ مفهوم أو ممارسة. مثلاً، إذا اقتنعت مجموعة معينة أنّ حقوقهم قد اغتصبت، وأن عليهم من أجل رفع الظلم عنهم اللجوء إلى العنف، فسوف يكون من المستحيل جعلهم يعدلون عن رأيهم، ما لم تكن قادرين أن تثبت بحجج قوية أنّ العنف ليس السبيل إلى حلّ مشكلاتهم، وأنّ مثل هذا المسار لن يؤدي إلا إلى زيادة تفاقم الأمور، ولن يعيد إليهم حقوقهم. ولاستدراج هؤلاء الأفراد إلى طريق السّلام؛ لا بدّ من إقناعهم بعقيدة تستند إلى المنطق، مفادها أنّ تحقيق أهدافهم لا يكون إلا بالتخلي عن العنف، وخوض نضالهم بالطرق السلمية. إننا نحتاج إلى عقيدة تمنحنا الأسس المنطقية التي تقنعنا بضرورة رفض أسلوب وتبني آخر.

فالإنسان يستطيع إنجاز أيّ مهمّة معطاة إذا ما توافرت لديه القناعة الفكرية بمصداقية تطبيقها وعملها. إنها عقيدة تمنح الإنسان الضمانات المناسبة، وإلا كانت النتائج مثبّطة وعكسية بغياب الطاقة الضرورية والحماسة، وهما العنصران الأساسيان لنجاح أيّ مقاومة، وانتصار أيّ كفاح.

وفي السياق نفسه، فإنّ الشجاعة هي المحفّز الأقوى في رحلة الحياة. فالإنسان القويّ يستطيع تسلق قمم الجبال، ومن يفتقر إلى الشجاعة يصعب عليه السير حتى في الطرق الممهّدة. ولكن، ما مصدر الشجاعة للإنسان؟ إنها أيضاً عقيدة تزوّد الإنسان بالشجاعة ليسلك درب السّلام. لقد قيل: (إنّ الإنسان حيوان عاقل)، وقيل أيضاً: (الإنسان حيوان يسعى إلى التفسير). وكلا القولين هنا يشيران إلى النقطة نفسها، وهي: أنّ الإنسان يستقي إشباعه العقلي من أفعاله فقط حينما تكون أهدافه قد تأسست بصفاتها حقاً له، وبصورة مبنية على الخطاب العقلانيّ. إنّ محاولة تطوير عقيدة كاملة مبنية على أسس السّلام هي بأهميّة السّلام نفسه، والعكس صحيح؛ فكلهما مترابط، ولا تعيش إحداهما من غير الأخرى.

إنّ مثل هذا العنف الذي نشهده في الوقت الحالي من. لقد تسببت حروب الدمار والعنف التي تشنها مجموعات غير شرعية في صور لا مثيل له في كل العصور حرب عصابات أو حرب بالوكالة في الجاف أذى كبيراً للبشرية، ووقف في طريق تقدّمها وازدهارها، وهذه حقيقة يعيشها سكان الأرض كلّهم. ولكن، كيف يمكن تفسير هذا؟ إنّ السبب واضح: فالناس لا يمتلكون عقيدة كاملة تفضّل السّلام، في حين يبقى التفسير الوحيد لممارسة العنف هو قوّة مشاعر العامّة وغضبهم؛ فعندما يشعر ناشط بالحاجة إلى أن يكون قائداً للعالم، أو عندما يُستثار مجتمع للانتقام لما أصابه من خسائر ومعاناة، فإنه

لا حاجة حينئذٍ إلى أي تبرير منطقيّ أو عقلانيّ للعداية. إنّ قوّة المشاعر والعاطفة تكفي لتحريك القادة وأتباعهم على حد سواء، ولكن عندما يكون الحديث عن السّلام، وأتباع أساليب سلمية لطرح الحلول، فإنّ هذا يكون ممكناً فقط إذا كان هنالك تبرير قويّ للسّلام. ففي حين يعدّ العنف فطرياً، فإنّ السّلام يحتاج إلى انضباط عقلي، وقدرة على التحكم في النفس، فالكلّ يريد إثبات نفسه بنفيه للآخرين. وعليه، فكلّ ما نحتاج هو إليه انفجار عاطفيّ قصير كافٍ للمضيّ قدماً بالعنف. على خلاف الأفعال السلمية التي تحتاج إلى فكر جديّ لتتكمّل.

إنّ الحلّ الوحيد لهذه المعضلة يكمن في امتلاك الإنسان عقيدة كاملة وشاملة للسّلام. ولعلّ المشكلة الفعلية لأيماننا هذه هي عدم وجود مثل هذه العقيدة على أرض الواقع. وهنا نطرح السؤال الآتي: لماذا هذا الجانب السلبيّ في النفس البشريّة؟

إنّ هذا مرتبطٌ بسنة الله في خلقه، ولا يمكن فهم هذا الجانب إلا إذا ربطنا ذلك بمشيئة الله في خلقه. إن هذه الدنيا هي أرض الاختبار التي صمّمها الخالق للبشريّة؛ حيث منح الخالق الحرّية التامة في هذا العالم، وهي حرّية لم يكن القصد منها التسبب في الفوضى، بل كان هدفها بيان إن كان باستطاعة الإنسان المضيّ في حياة منضبطة على الرغم من الحرّية الكاملة التي مُنحت له. إنّ على الإنسان أن يرتقي بنفسه من المستوى غير الأخلاقيّ للحيوان إلى المستوى الأخلاقيّ للبشر.

وعلى الرّغم من ممارسته مشاعر الغضب والكرهية، ووجود الحافز لممارسة العنف، فإنّ عليه أن يصبح حاضناً للحبّ والسّلام. وعندما تأكل

الفصل الأول: عقيدة السّلام

المشاعر السلبية قلبه، فإنّ عليه أن يكون قادرًا على التخلص منها، ويرتقي بنفسه إلى مستوى المفكر الإيجابي.

باختصار، فعلى الرّغم من امتلاك الإنسان الحرّيّة الكاملة، فإنّ عليه وبارادته الشخصية أن يكون مثالاً للسلوك المنضبط والخلق السويّ، والإنسان الذي يقود نفسه بانضباط يكون قد اجتاز اختبار الخالق، وأولئك الذين يتصرّفون بهذه الطريقة هم فقط الذين سيختارهم الله تعالى، خالق هذا الكون وحافظه؛ ليتمتعوا برحمته في جنّات الخلد.

إنّ دراسة علم النفس تخبرنا بأنّ الإنسان بطبعه محبّ للذات، وكلما تأدّت هذه (الأنا)، فإنّ ردّة فعل عدائيّة تنتج، ومن ثمّ تتطوّر إلى كراهية ورغبة في اللجوء إلى ممارسة العنف. علمًا بأنّ هذه النقطة قد تناولها بوضوح الكاتب (C.M.Joad)، في كتابه (الشرّ المعاصر) The Modern Wickedness، وهي نقطة الضعف النفسيّة في النفس البشريّة، التي تعزى إليها حقيقة أنّ الاختلافات تأخذ غالبًا شكل الكراهية، التي بدورها تقود إلى العنف على نحو متكرّر.

إنّ هذا كله يُظهر أنّ العنف ليس في حاجة إلى أيّ عقيدة؛ فالعنف يظهر ويشتل ذاتيًّا، مع أنه فيما يخصّ السّلام الاختيار الذي نتبناه نحن بأيدينا. وبذا، فإنّ السّلام يحتاج إلى كفاح إيجابي، وتصميم قويّ من خلال عقيدة واضحة متكاملة.

إنّ الاستعداد للمحافظة على السّلام -مسألة اتخاذ قرارٍ واعٍ- مزية بشريّة نبيلة. أمّا السّلام، فإنّ على الإنسان أن يحُدّ من غضبه وأن يكون متسامحًا، وعليه أن يسيطر على مشاعر الكراهية، وأن ينمي مشاعر الحب تجاه

الآخرين. فإذا أردنا أن نعمل على استدامة السّلام. فإنّ علينا كبح التفكير السلبي والاستعاضة عنه بالتفكير البناء. ولكي يصبح السّلام حقيقة فإنّ على الإنسان أن يكون متمنياً جيّداً للخير بدلاً من أن يكون صاحب نيّة سيّئة. وعليه، فإنّ الاستفزاز يعدّ كافياً لانطلاق العنف. ولكن لكي يستمرّ السّلام فإنّ على الإنسان أن يبطل الاستفزاز، ويتحلّى بالاعتدال وضبط النفس.

إنّ الإنسان بممارسته للعنف يتبع غرائزه الأساسيّة، ولكن لتعزيز السّلام فإنّ عليه أن يقوم بتغيير أخلاقيّ كامل في نفسه. وليس قبل مثل هذا التحوّل، يستطيع الفرد أن يكون قادراً على أن يؤدّي دور محبّ للسّلام.

إنّ الحاجة تكمن في تحويل الإسلام إلى السّلام؛ حيث يتمكّن الفرد بعد هذا التحوّل من أن يؤدّي دور الشخص المسالم. ولهذا السبب، فإنّ عقيدة شاملة للسّلام تكون ضروريّة، والشيء الأكيد أنّ هذا لن يتحقق بإطلاق النداءات والتصريحات؛ لأنها لن تقنع الناس بتبني الوسائل السلميّة.

ولقد حملت الأحداث التاريخيّة مثل هذا كما في خبرتي الشخصية؛ إذ كنت منخرطاً في مهمّة سلام للسنوات الخمس عشرة الأخيرة، وأستطيع القول وبكل اقتناع: إنّ المئات والألوف من الشباب، الذين -وبإيعاز من عواطفهم- كانوا قد سيقوا للعنف والتشدد، قد اختبروا ثورة في تفكيرهم بعد استماعهم إلى منطوق ما أقوله ودراستهم كتاباتي، وعبر الحجج القويّة، قد صنعت غلبة للسّلام. لقد هجر هؤلاء طريق العنف، وتبنوا طريق السّلام.

في المقابل، اكتشفت أنّ هؤلاء الشباب، كانوا قد اعتقدوا وعلى نحو غير صحيح، أنّ العنف مساوٍ للشجاعة، وأنّ الأفعال السلميّة مساوية للجبن. لقد اعتقدوا أنّ بإمكانهم تحقيق كلّ شيء بالعنف، وأنّ الوسائل السلميّة لن تجلب

الفصل الأول: عقيدة السّلام

لهم منفعة. وبهذا الفهم غير الصحيح، اعتقدوا أنّ العنف يعني التقدّم، وأنّ السلم يعني التخلف.

وبعبارات أخرى، فقد كانت لديهم عقيدة (عنف) لا عقيدة سلام. ومع هذا فإنهم أصبحوا مقتنعين بحجج مُفادها أنه لا توجد هناك عقيدة حقيقيّة في صالح العنف، وأنّ العقيدة الصحيحة تقف بجانب السّلام في الواقع الحقيقيّ. إضافة إلى ذلك، فقد أصبح جلياً لهم أنّ نهج العنف الذي سلكوه؛ لأجل تحقيق التقدّم في مصالحهم كان انتحارياً في نهاية المطاف، أما نهج السّلام الذي قاطعوه لاعتقادهم أنه غير منتج، فكان في الحقيقة هو الطريق الصحيح إلى التقدّم.

وبعد هذا الاكتشاف الفكريّ، فقد خضعت حياتهم لتحوّل من كونهم كانوا ناشطيّ عنف إلى ناشطيّ سلام. وفي الحقيقة، وفي بقاع مختلفة من العالم، فإنّ هناك عدداً كبيراً من الشباب، الذين بعد أن أصبحوا مدركين تماماً لحقيقة هذه المسألة قاطعوا العنف في سبيل تسخير طاقاتهم في مصلحة مجالٍ سلميٍّ في الحياة، مثل: التعلّم، والإصلاح الاجتماعيّ، والدعوة للسّلام.



الفصل الثاني: السلام والعنف

لقد عرّف الباحثون السلام على أنه غياب الحرب. ومن الناحية الفنيّة فإنّ هذا صحيح؛ إذ حينما لا يكون هناك صراع مسلح في مجتمع، فإنّ حالة السلم تجد نفسها تلقائيًا. ومع هذا، فإنّ تأسيس السلم في مجتمع لا يكون بوضع حدّ للحرب والعنف فقط، وإنما هذا يعدّ المرحلة الأولى في تحقيق السّلام. وكلّما حلّ السّلام في مجتمع بالمعنى الحقيقيّ، فإنّ أفرادَه ينخرطون في أنشطة إيجابية، ينجم عنها توجيه طاقاتهم كلّها في سبيل إعادة بناء حياتهم الذاتية وبناء بيئتهم الاجتماعيّة.

إنّ إرساء السّلام يمكن تشبيهه بإزالة سدّ من نهر؛ فحياة البشر مثل نهر جارٍ تريد أن تتدفق قدماً بقوة اندفاعها الذاتية، وحينما لا يكون هناك أيّ عائق، فإنّ أنشطة الحياة جميعها تدبّ فيها الحركة، تدفعها الطبيعة البشريّة نفسها، وتتوقف هذه الحركة فقط حينما توضع حواجز الحرب والعنف المصطنعة أمامها. إنّ السّلام بنتائجه يشبه فتح أبواب الحياة كاملة على مصراعها.

وفي هذا السياق، فإننا نجد بعضهم يسمّون هذا النوع من السّلام سلبياً، فيقولون: إنّ السّلام لا قيمة له ما لم ترافقه العدالة. وهؤلاء إذا عرضنا عليهم السّلام نقياً وبسيطاً فإنهم لن يقبلوا به؛ إذ هم يتمسكون بفكرة أنه لا بدّ من تقديم العدالة أولاً، ومن ثمّ الحقوق. وفي المحصلة، فإنّ هؤلاء يستطيعون العيش بسلم مع الآخرين؛ إذ إنّ (السّلام مع العدالة) هي كلمة سرّهم. وحقيقة الأمر أنّ هذا يظهر نقصاً في واقعيّة تفكيرهم؛ فالعدالة لا

تتحقّق مباشرة من حالة السلم؛ لأنّ هدف تأسيس السّلام هو في الحقيقة، فتح قنوات لتحقيق العدالة بدلاً من جلبها على نحو واقعيّ إلى حيّر الوجود.

وبالتأكيد، فإنّ السّلام حالة نرغب في وجودها؛ إذ بحلولها تصبح الفرصة مواتية لكلّ شخص ليضع خطّته، وينجز ما يشاء. لكنّ أولئك الذين يصرّون على العدالة بأنها شرط، يترافق مع السّلام لن يتوصلوا إلى السلام ولا إلى العدالة، وسيستمرّون في القتال تحت مسمّى تحقيق العدالة. وبهذه الطريقة فهم لا يسمحون بإحلال السّلام الذي سيزوّدهم بالظروف المناسبة لتحقيقها.

عموماً، يُنظر إلى السّلام على أنه نقيض الحرب. علماً أنّ هذه النظرة ضيّقة؛ فالحقيقة هي أن السّلام ينتمي إلى طيف الحياة الكامل، إنه في حدّ ذاته يعدّ عقيدة كاملة؛ فهو المفتاح الرئيس الذي يفتح الأبواب كلّها أمام النجاح، ويمهّد الطريق للجهود المخلصة في الأطياف جميعها. إننا نستطيع في حالة السّلام أن نتعامل مع أي هدف، ومن غير السّلام فإنه من المستحيل أن نمضي على نحو بناء، وهذا ينطبق على مجالات الحياة جميعها؛ الكبيرة منها والصغيرة.

الفرق بين السّلام والعنف

إنّ السّلام هو نتيجة لأفعال خُطّط لها مسبقاً، أمّا العنف - بكلّ بساطة - فهو ردّة فعل عدائيّة لأيّ نوع من الاستفزاز. والشخص المحبّ للسلام يمثل الحقيقة، ويعيش وحبّ الآخرين يملأ قلبه، إنه يفكر أولاً ومن ثمّ يتصرّف، في حين يمثل الشخص العنيف الباطل، ويستهلك حقدّه على الآخرين كلّ مشاعره، وفعله يسبق تفكيره. وعليه، فإنّ الأمل يرافق العمل السلميّ من

الفصل الثاني: السّلام والعنف

البداية إلى النهاية، في حين يترافق العنف مع آمال غير صحيحة نبتدئ بها ولا يتبعها عاجلاً إلا الإحباط.

إنّ طريق السّلام تأخذ مسلكاً مستويّاً من البداية إلى النهاية، مقابل طريق العنف الوعر المليء بالعوائق. والسّلام إنّما يحتوي على البناء، أمّا في العنف فلا نجد غير الدمار. أضف إلى ذلك أنّ السبيل السلمي ينتهي بالنجاح، في حين لا يُحصَد في السبيل العدائيّ إلا الندم والإحباط.

وخلاصة الأمر: أنّ طريق السّلام هي طريق الإنسانيّة، وطريق العنف هي طريق الوحشيّة. ففي حين يكون الفعل السلميّ مقبولاً ضمن إطار القانون، فإنّ الفعل العنيف يكون خارجاً على القانون كلياً. وبذا، فإننا بلجوئنا إلى الوسائل السلميّة لن نخسر شيئاً، بل سنربح كلّ شيء، والخسارة إنّما هي في الوسائل العدائية التي لا ينجم عنها إلا كلّ شرّ وسوء.

ومن هنا، فإنّ الشخص المحبّ للسّلام يهمل المشكلات، وينتفع من الفرص المتوافرة، أمّا الشخص المحبّ للعنف فيترك الفرص كلها، ويستمرّ في صراعه مع المشكلات. وفي الوقت الذي نجني فيه من السلم حديقة من الزهور، فإننا باتباعنا أعمال العنف نفرس غابة كاملة من بذور الحقد والكراهية.

وباختصار، فإنّ ثقافة السّلام هي ثقافة الخير، أمّا ثقافة العنف فهي ثقافة الشرّ؛ ففي السّلام نكرّم حقوق اللّهُ وحقوق البشر، مقابل انتهاك حقوق اللّهُ وحقوق البشر حيث ينتشر العنف. وبذا، فإنّ كان السّلام فردوساً فإنّ العنف هو الجحيم ذاتها.

ولمّا كانت سبيل السّلام والحرب المتعاكسة مفتوحة أمام الإنسان، فإنّ السّلام هو الخيار الحقيقي له؛ فالحرب ليست إلا دليلاً على أنه اتخذ الخيار غير الصحيح، وهذا يعني أنه قد فشل في هذا الاختبار. وعليه، فالحقيقة هي أنّ الحرب والعنف ليسا خيارين صالحين لأي فرد أو مجتمع أو أمة.

وعلى الرّغم من أنّ العالم يتوافر فيه كثير من الإغراءات، فإنّ الحقيقة التي لا خلاف فيها أنّ تلك الإغراءات موجودة لتضع الإنسان تحت الاختبار. لذا فإنها ليست مرغوبة للإنسان. فعلى سبيل المثال، الكحول متوافرة، ولكنها ليست صالحة لاستهلاك البشر، بل هي على العكس موجودة لئتمتع عن تناولها، ولنثبت قدرتنا على التمييز بين ما هو خير وما هو شرّ. إنه إغراء، نثبت إذا تجاوزناه أننا حكماء، ونؤكد كوننا أصحاب مبادئ. والشئ نفسه ينطبق على الحرب، فعلى الرّغم من أنّ طريقها مفتوح للجميع، فإنّ السلوك الأنبل يكون بالامتناع عن اختياره.

لقد سمحت الظروف السائدة قديماً بالحرب دفاعاً عن النفس، لكن هذه الرّخصة في الذهاب إلى الحرب توافقت مع الضرورة. أمّا في الطرف الحالي، فإنّ هذه الحاجة لم يعد إليها وجود، لهذا لا بدّ من فرض حظر عام على الحرب.

الفرق بين العصريين الزراعيّ والصناعيّ

وفيما يخصّ الحرب، فقد اتفقت الديانات والأنظمة العقديّة جميعها على مبدأ واحد، هو أنه مهما كان المبرّر لشنّها؛ أي حتى لو كانت حرباً مشروعة تماماً، فإنّ المدنيين غير المقاتلين لا يجب أن يُعدى عليهم أو يقتلوا؛ إذ إنّ قتل من لا يحمل السلاح عمل غير مقبول نهائياً.

الفصل الثاني: السلام والعنف

دعونا الآن نلقي نظرة على كيفية تنفيذ هذا المبدأ في وقت الحرب. إن هذا الشرط؛ أي مهاجمة المحاربين فقط، يمكن إنجازه فقط في العصر الزراعي. فاليوم، وبفضل التقدم العلمي التقني، فإن الحرب تشنّ بأسلحة متفجّرة تؤدّي إلى دمار شامل. فحينما تسقط قنبلة على منطقة مأهولة فإنها لا تملك إلا أن تقتل أعداداً كبيرة من المسلحين وغير المسلحين، ومن ثمّ فمن المستحيل تقريباً تحقيق هذا الشرط.

إنّ هذا يظهر عملياً أنّ الإنسان في الوقت الحالي أمام خيارين: إمّا أن يمتنع عن الحرب على أساس أنّ شرط احترام الإنسانية لا يمكن تطبيقه، أو أن يرتكب الجريمة ملقياً نفسه بتهوّر في الحرب، متجاهلاً الاعتبارات الإنسانية جميعها. وحين نفوس عميقاً في المسألة، فإننا نكتشف حقيقة مهمة: ففي الوقت الحالي، نجد من جهة أنّ هذه الظروف لا تسمح لنا بتلبية الشروط المرغوب فيها كلها لشنّ الحرب، ولكن من جهة أخرى، فإنّ مثل هذه الموارد قد أتاحت بسبب الثورة الصناعية لتسمح لنا بتحقيق أهدافنا بوسائل سلمية بحتة. وفعلاً، فإننا نتوقع أن نكسب انتصارات كبيرة اليوم بوسائل سلمية أكثر ممّا كان يمكن تحقيقه بشنّ الحرب في أوقات سابقة. لذا، فإنه يجب التسليم بأنّ الحرب كما كانت تُخاض قديماً قد باتت عديمة للجدوى بسبب الثورة الصناعية الحديثة.

عندما نبقي هذه الحقيقة ماثلة أمامنا، يمكننا بأمان أن نخلص إلى أنّ الحرب العنيفة كانت نتاج الظروف التي كانت سائدة في العصر الزراعي. وهذا النوع من الحرب في العصر الصناعي، ونظراً إلى النتائج العكسية، أصبح مرفوضاً من حيث المبدأ.

مع نهاية العصر الزراعيّ، وصلتْها طريق النضال العنيف إلى نهايتها على الأقلّ نظرياً، وفي ظلّ الظروف الراهنة، فإنّ الأسلوب السلميّ هو الأسلوب الوحيد، والآن لا يوجد عذر يبرّر العنف أو الحرب.

يتّضح الفرق بين السّلام والعنف جلياً عن طريق بناء عشّ طائر؛ فالعشّ لا يُبنى إلا من خلال جهد سلميّ، في حين يدمّره العنف. وينطبق الشيء نفسه على الحياة البشريّة؛ فإذا أردنا إنجاز أيّ عمل إبداعيّ في الحياة فلا بدّ من جهود سلميّة للقيام به. وبذا، فإنّ العنف يدمّر الحياة، ولا يستطيع بناءها أبداً.

ثمن السّلام

لكلّ شيء ثمن، حتى السّلام؛ إذ لا يستطيع أيّ فرد أو جماعة الحصول عليه ما لم يكونوا مستعدين ليدفعوا له مقدّماً. وإنّ القابليّة لفعل هذا لا بدّ لها من معاناة، وحتماً سينجم عنها خسائر.

بناءً على القانون الذي يحكم نظام العالم الحاليّ، ووفقاً لقاعدة (لا مكسب بغير مخاطرة)، فمن الضروريّ للناس أن يتكبّدوا الخسائر من مختلف الأنواع. ففي أوقات نراهم، على نحو غير عادل، يلقون تحدياً من الآخرين؛ ويقعون فريسة الصعاب الاقتصاديّة، ويعانون خسائر في الأرض والمال، ويتعرّضون لحادث أو يُحرمون بعض المنافع التي هي في الأصل حقّ لهم.

إنّ الخبرات غير السارّة من هذا النوع، ووفقاً لقانون الطبيعة، يتعرض لها الناس بين حين وآخر في هذا العالم، من أفراد ومجتمعات وأمم. وإذا لم يكن للناس قابليّة في مثل هذه الظروف لتحملّ الخسارة، فإنّ النتيجة ستكون

هي العنف. ولكن، إذا كانت لديهم القابليّة لتقديم التضحيات، فإنّ النتيجة حتمًا ستكون السّلام.

إن اختيار طريق الصبر والتسامح لا يعني سلوك طريق الهزيمة والتراجع. إنها في الحقيقة خطة نحو المستقبل، تصل إلى حدّ القبول الطوعي للواقع طوعيّ، ما يعني أنه حتى بعد فقدان شيء ما، على الإنسان أن يتذكّر دائمًا أنه ما زال يمتلك كثيرًا من الأشياء، التي يستطيع من خلال الاستفادة من إحداها إعادة بناء ما فقده.

إنّ فائدة الصبر والتسامح - وحتى بعد تكبّد الخسائر - هي أنّ الشخص المتكول لا يفقد توازنه. وعلى الرّغم من الهزيمة المؤقتة، فإنه لا يفقد القدرة على التفكير بذهن صافيّ، عن طريق إجراء تقييم واقعيّ لوضعه، والتخطيط لحياته من جديد. وبوساطة نسيان ما ضاع منه، فإنه يعيد تنظيم عمله على أساس ما تبقى لديه.

إن من شأن الإحباط أن يعطي أولية للتخطيط الشخص وينطلق الشخص في رحلة حياته من جديد. إنّ المزية الموثوقة التي يمكن الاعتماد عليها في عالمنا هي أنّ الليل دائمًا يعقبه النهار.

إنّ هذا العالم مليء بالاحتمالات والفرص. فهنا، وبعد فقدان فرصة واحدة فإنّ الإنسان سيجد أخرى. وهنا، وعندما يجد بابًا موصدًا في وجهه، فإنه سيجد أبوابًا أخرى مفتوحة أمامه. وهكذا، هناك دائمًا احتمال أنه بعد فشل مجموعة من الخطط، فإنه قد يباشر العمل في مجموعة أخرى، وفي بناء حياته من جديد. والحقيقة التي لا خلاف عليها في هذا العالم أنّ كلّ خبر

سيئٌ تتبعه أنباء جيّدة. فكلّ حادثٍ ضارٍّ يحمل لنا بشائرَ جيّدة بأننا لا يجب أن نقع ضحية للإحباط واليأس.

بدلاً من هذا الإحباط وذلك اليأس، فإنه يجب علينا أن نستجمع ما يكفي من الشجاعة للبحث عن الجديد من الفرص. إنّ نظام الطبيعة يخبرنا مقدّمًا بأنّ الحرمان لدينا لن يدوم إلى الأبد، وقريباً سوف نكون قادرين على بناء عالم أفضل لأنفسنا، وقريباً أيضاً سوف تكون هزيمتنا بداية انتصار. إنّ أولئك غير القادرين على تحمّل الخسائر يميلون إلى التفكير السلبي، وبهذه الطريقة فإنّ حياتهم تصبح عبئاً عليهم وعلى الآخرين. وعلى العكس من ذلك، فإنّ أولئك الذين يمتلكون الصبر، ولديهم الشجاعة حتّى سيبنون صرحاً جديداً على أنتقاض الماضي؛ فبعد الليل يأتي الفجر، الذي سيتمكنون من أن يكملوا رحلتهم في ضوئه من غير توقف. ومع ذلك، فإنّ هذه الغاية النبيلة تنتظر فقط أولئك الذين يمتنعون عن العنف، وينخرطون في أنشطة سلمية، بغضّ النظر عن الظروف.

السّلام قوّة عظمى

إنّ قوّة السّلام أكبر بكثير من قوّة العنف، ومن لا يدرك هذه الحقيقة فإنه يعتمد مسار العنف من أجل تحقيق أهدافه، ويكون بذلك معبّراً عن غيابه الشخصي.

إنّ السّلام هو طريق الحكيم، في حين أنّ العنف هو طريق الأحمق. والسلم والحرب ليسا مجرد وضعين متساويين للإنجاز بالمعنى البسيط للعبارة، بل إنهما يشيران إلى معيارين مختلفين للإنسانية. وعليه، فإنّ الذي يعتمد

طريق السّلام يرفع مستوى الإنسانيّة، أمّا الذي يتبنّى طريق العنف فيخفضه بلا شكّ.

في الأوقات الصعبة، عندما يختار الفرد طريق السّلام، فإنه يجني ثمار التفكير الإيجابي، ويرفع معايير الأخلاقيّة، ويذهب من قوّة إلى أخرى في تحسين شخصيّة الذاتيّة. وفي الواقع، فإنه يعطي دليلاً عملياً على كونه إنساناً. وعلى العكس من ذلك، عندما يختار طريق العنف في حلّ المشكلات، فإنه ينزلق أسفل منحدر زلق نحو الهلاك، ويجعلنا نتشكك في إنسانيته.

إنّ الميل نحو السّلام أو العنف يُعدّ مؤشراً على شخصيّة الإنسان الحقيقيّة؛ فإذا أثبت الأول إنسانيّة الشخص، فإنّ الأخير يثبت وحشيّته على أنه حيوان برغم مظهره الإنساني.

إنّ السلوك المسالم يدلّ على ضبط النفس، وضبط النفس هو بلا ريب قوّة كبيرة جدّاً؛ فهو يبعد الإنسان عن المشاركة في أعمال سلبية، مثل العنف. ومن لا يملك قوّة ضبط النفس سيفضب إذا تعرّض لاستفزاز، ويلقي بنفسه في أعمال العنف. وبذا، فإنّ السيطرة على غضب المرء هو سبيل الشخص المسالم، في حين أنّ فقدان سيطرة المرء على نفسه عند الاستفزاز هو سبيل الشخص العنيف.

المصالحة هي الأفضل

في أيّ مسألة خلافية، إحدى طرق التسوية أمام كلا الطرفين هي الدخول في مواجهة عنيفة. لكن أفضل طريقة لتسوية النزاعات هي في إحداث المصالحة في البداية؛ كون المصالحة تعدّ صمام الأمان في أيّ حالة فيها

مصالح متضاربة، وحيث تكون الأعصاب على وشك الانفجار. ولذلك، وفي أوقات الاستفزاز، فإن أفضل مسار يمكن اتخاذه هو التصالح بدلاً من مسار المواجهة. إن هذا هو قانون الطبيعة. ومع ذلك، فإنه نادراً ما يحدث أن مثل هذه المصالحة تعكس تماماً رغبات كل من الطرفين المتنازعين.

في غالبية الحالات، تكون المصالحة ممكنة فقط على أساس أحادي الجانب. وهذا يعني أن على طرف من الأطراف المتنازعة أن يجمع ميوله الذاتية، ويظهر استعداداً لوضع حد للنزاع وفقاً لرغبات الطرف الآخر.

لماذا يكون هذا النوع من المصالحة الأحادي الجانب والأفضل؟ إن الفائدة الرئيسية هي، ومن غير إضاعة الطاقة والوقت في مشاحنات لا لزوم لها، يكون قادراً على اتخاذ مسار عمل ببناء، في حين أن حالة المواجهة تضع حداً لكل نشاط من هذا القبيل.

ويظهر التاريخ أن أي نجاح على مستوى الفرد أو المجتمع قد أنجز باعتماد أسلوب التصالحية، فمسار التصادم والمواجهة لم يؤد إلى أي نجاح حقيقي في هذا العالم. وبذا، فإن المصالحة أمر حيوي؛ لأنها تعطي الإنسان الفرصة للإفادة من الفرص المتوافرة إلى أقصى حد، في حين تؤدي المواجهة إلى توجيه طاقاته كلها للتخطيط لتدمير الآخرين. ومن ثم فإن أعمال البناء لا مكان لها هنا، مع أن سر النجاح الحقيقي يكمن في البناء والوحدة بدلاً من تدمير الأعداء المفترضين.

يرر كثير من الناس العنف بقولهم: إنهم كانوا ضحية للدسائس والمؤامرات، وكان لابد لهم من وضع حد لذلك بالقتال. وهذا العذر لا يستند

الفصل الثاني: السّلام والعنف

إلى أيّ أساس من الصّحة؛ فما يُنظر إليه بأنه مؤامرة هو في الواقع العمليّ
مظهر من مظاهر خطة تجذرت في العالم الحالي على أنها قانون طبيعيّ.

في العالم الحالي، لا تكمن المشكلة الحقيقيّة لأيّ مجتمع في أنّ له أعداء
يتأمرون ضده، بل في أنّ ذلك المجتمع فشل في تطهير نفسه من الضعف
الذي يعطي الآخرين بفرصة لاستغلاله. إنّ حالة السّلام المستقرّة تكون
ضماناً ضدّ هذا النوع من الاستغلال؛ فالعنف يعني أن نجعل أنفسنا غير
آمنين عن طريق كسر خطّ الدفاع.



الفصل الثالث: طرائق السّلام ووسائله

مثلما أنّ العنف وسيلةٌ في الحياة، فإنّ السّلام ثقافة كاملة في حدّ ذاتها. وتماماً مثلما أنّ هناك طرائق للعنف، فإنّ للسّلام مبادئ وطرائق واضحة. وهنا، نذكر بعض الأساليب التي لها علاقة بسلوك الأنشطة السّلمية، وسوف يظهر هذا كيف يمكن إحلال ثقافة السّلام، وكيف يمكن للمرء بالطبع تخطيط مسار حياته في الأمور كافة؛ حتى يتسنى للبشر جميعهم العثور على فرص لتحقيق طموحاتهم.

التسامح هو السّلام

إنّ نتيجة عدم التسامح هي العنف، ونتيجة التسامح هي السّلام. وهذا يلخص جوهر كلّ من السّلام والعنف. إنّ جواً من السّلام سوف يسود في أيّ مجتمع من المجتمعات التي تتميز بالتسامح، في حين يسود جوّ من العنف في أيّ مجتمع يعاني فيه غالبية الناس نقصاً في ذلك التسامح. ووفقاً لنظام الطبيعة، فإنّ العنف ليس مفيداً، لا لمرتكبيه ولا لأولئك الذين يتعرّضون له.

إنّ التسامح مزية إنسانية أخلاقية عالية الجودة، في حين أنّ التعصّب هو انحطاط إلى مستوى الحيوان. وعليه، فإنّ فعل التسامح ليس مسألة إكراه؛ إنه ينتج على نحو طبيعي من الفاعل، وهو في حالة سموّ أخلاقيّ معنويّ. إنّ أيّ هدف نسعى إلى تحقيقه من خلال القوّة الفاشمة، يمكن تحقيقه دائماً على نحو أفضل عن طريق التسامح؛ فعندما يصبح الفرد غير متسامح في

حالات غير سارّة، فإنه يضعف نفسه إلى حدّ كبير، ويصبح من ثمّ غير قادر على التعامل مع المشكلات على نحو فاعل. ولكن، عندما يحافظ على موقف التسامح فإنه يحفظ طاقاته كلها، ويكون قادرًا على التعامل بفاعليّة أكبر مع المسائل المطروحة أمامه.

إنّ عدم الانحطاط إلى سلوك اللاتسامح، على الرغم من الأوضاع غير السارّة، هو دليل واضح على ضبط النفس. وكلّ من لديه هذه القدرة فإنها تعزّزه على نحو لا يمكن فيه لأحد أن يتغلب عليه.

التجنّب لا المواجهة

من الممكن جدًّا تجنّب العنف، وحتى مع وجود سبب لتبريره بوصفه خيارًا، وهذا ممكن من خلال الإستراتيجية السلميّة لتجنّب الصراع.

إنّ مثل هذا التجنّب يعدّ أنجع وسيلة للتخلّص من العنف، وأهمّ مبدأ لحياة اجتماعيّة سلميّة. ومما لا شك فيه أنّ السير في طريق التجنّب يبقي الشخص في الجانب السلمي، وعلى العكس تمامًا، فإنّ طريق المواجهة يدفع المرء إلى اتخاذ عمل العنف ضدّ الخصوم.

لا يوجد أيّ فرد أو مجتمع في العالم الحاضر يعيش وحيدًا. وهناك كثير من الذين يسعون إلى تحقيق أهدافهم، ويمتلكون جداول أعمال منفصلة مخصوصة بهم، لهذا السبب، فإنهم غالبًا ما يجدون أنفسهم في مواجهة مع الآخرين.

في مثل هذه الحالة، هناك طريقتان للإنسان: التجنّب أو المواجهة، ولا خيار ثالث. الآن، إذا اختار الإنسان المواجهة فإنّ النتيجة ستكون صدامًا. ومن

الواضح من تاريخ الإنسانية كاملاً أنّ المواجهة تصعد مشاعرَ العداة في قلوب الناس. وبذا، فإنها لا تفيد أياً من الجانبين بأيّ صورة من الصور. ولذلك، ينبغي إعطاء أفضلية السياسة التجنّب على سياسة المواجهة، فطريق تفادي المواجهة توفّر عليك مزيداً من الخسائر، فإنها أيضاً تسمح لك بمواصلة السير على طريق التقدّم من غير أيّ عائق.

وفي الواقع، فإنّ أيّ فعل تجنّب قد يبدو أنه يفيد الطرف الآخر، لكنّ هدفه الفعليّ هو إنقاذ الشخص من المواجهة العنيفة، وهذا يتيح لرحلة حياة الإنسان أن تستمرّ من دون عراقيل.

النهج المعتمد

إنّ الذين يعتمدون أسلوب العنف هم أولئك الذين لا يتحلّون بالصبر، أو الذين لا يؤمنون بالمتابرة. أما الذين يختارون الحلّ السلمي فيجدون أنّ قوانين الطبيعة جميعها تكون في مصلحتهم. وعلى النقيض من ذلك، فإنّ الذين يختارون العنف لا يمكن أن يحظوا بمثل هذا التأييد من قوانين الطبيعة. ومن ثمّ، لا يمكنهم التطلّع إلى أيّ شيء في العالم الواقعي سوى الفشل والخراب.

ما معنى (أن تخطو في طريق السّلام)؟ هذا يعني، أنه حتى في مواجهة الأحداث غير السارّة، لا ينبغي للفرد أن يفقد صبره. وبهذه الطريقة، فإنّ خطّ تفكيره الإيجابي لن يصاب بالإحباط، وسيميّز، بوضوح بعدئذ بين الممكن والمستحيل. وبهذا فقط، سيكون قادراً على تحديد الممكن هدفاً له؛ إذ يجب عليه هنا ألا يتوقّع نتائج فوريّة.

فبدلاً من الشروع فوراً، في تحقيق مهمّته، عليه أن يختار الطريقة التدريجيّة. ولا ينبغي أن يصاب بالاكتئاب بسبب خسائره المتوقّعة، ولكن ينبغي أن يشارك في أنشطة هادفة، وعيانه تتطلعان قُدماً نحو المستقبل. وينبغي أيضاً أن يكون قانعاً بكلّ ما يحصل عليه في الحاضر، وأن يكون صبوراً بانتظار بركات المستقبل وخيراته. عليه إبقاء رغباته خاضعة لقوانين الطبيعة، بدلاً من محاولة جعل القوانين تخضع لرغباته. إنّ الصبر في حقيقة الأمر موقف إيجابيّ تماماً، إنّهُ ليس سلبياً ولا حياديّاً.

تحويل العدو إلى صديق

إنّ سبيل العنف يزيد من عداوة الخصوم. وعلى العكس من ذلك، فإنّ سبيل السلام يضع حدّاً لمثل هذه العداوة؛ إنّهُ يحوّل العداوة إلى صداقة.

وفي هذا السياق، فإنّ دراسة الطبيعة البشريّة تبين لنا أنّه قد يكون هناك صديق محتمل في داخل كلّ عدو. وعلينا أن نكتشف هذا الصديق، ونقبله حقيقة أنّ الشخص الذي كان في وقت ما عدونا اللدود أصبح صديقنا الحميم.

الحقيقة هي أنّ العداوة ليست أمراً طبيعياً؛ إنّها ردّة فعل مصطنعة؛ وعندما يصبح أيّ شخص لأيّ سبب من الأسباب عدو، ينبغي عليك أن تظلّ دَمِثاً في تعاملك معه، وأن تتصرّف جيّداً، حتى لو كان ذلك من جانب واحد في مواجهة الاستفزاز. إنّ ردّ فعلك السلميّ هذا سيؤدّي إلى إخماد المشاعر السلبية في عدوك، إضافة إلى أنّ سلوكك الجيّد سيؤدّي إلى إيقاظ إنسانيّته من سباتها، ويحوّله إلى كائن بشريّ جديد أفضل من ذي قبل.

وفي الواقع أنّ المزاج نفسه يكون مشتركاً بين الأطفال حديثي الولادة جميعهم، وهذا ما يجعل كل إنسان منا طبيعياً في البداية، ثم يتحول لاحقاً إما إلى عدو أو إلى صديق وهذا يعني أنّ الطبيعة التي تمتلكها يمتلكها عدوك أيضاً. ولذلك، يجب على المرء أن يبحث في العدو عن الإنسان المشترك بينهما، ويجب على كل فرد أن يتوقع من الآخرين ما يتوقع لنفسه. إنّ قانون الطبيعة يضمن بأن توقعاته لن تذهب سدىً.

نظام السبب والنتيجة

بعبارة أخرى، إنّ العنف هو إلقاء اللوم عن أخطاء شخص ما على الآخرين. لكنّ هذا العالم يستند إلى مبدأ السبب والنتيجة، وعندما يعاني أي شخص بعض الألم، يجب عليه أن يبحث عن السبب في نفسه، وليس بمحاولة العثور عليه في مكان آخر؛ فكما تزرع تحصد.

وعندما يتجدّر واقع الحياة هذا في ذهن إنسان ما، فإنّه لن يحمل أي شخص آخر مسؤولية آلامه، وممارسة العنف ضدهم، بل سوف يحلّل أفعاله بموضوعية ليكتشف بنفسه أوجه القصور ويصحح أخطاءه؛ كي لا يكون ضحية معاناة غير ضرورية.

إنّ الشخص الذي ينخرط في أعمال تخريبية ضدّ الآخرين مستخدماً مشكلاته ذريعة لذلك، يشبه المريض الذي يحمل جاره المسؤولية عن مرضه، فيتقاتل معه. أمّا في المدينة التي تنحصر حركة السير فيها في الجهة اليمنى، فإنّ من المؤكد أنّ أي شخص يعتقد أن باستطاعته مخالفة هذه القاعدة بالقيادة على الجهة اليسرى سوف يتسبب في وقوع حادث

من الواضح أنّ هذا الحادث يكون قد وقع بسبب اصطدام سيّارة أخرى بسيّارته، ولكن، لن يكون له أيّ مبرّر للقول إنّ سائق سيّارة آخر بجروح لأنّه صدم بالسيارة الأخرى سيّارته، بل يتعيّن عليه أن يعترف بأنّ سيّارته هي من اصطدمت بالآخر؛ لأنّه كان يقود على الجانب الخطأ من الشارع، في حين أنّ السائق الآخر كان يقود السيّارة على الجانب الأيمن الصحيح من الشارع.

وينطبق الشيء نفسه على الجوانب الأخرى جميعها للوجود البشري؛ فكلما كان عليك أن تواجه أيّ خسارة في الحياة، فيجب أن تعلم أنّ تلك الخسارة كانت بسبب قصور منك إنّ طريقة التفكير هذه تُعدّ سلميّة، وهي طريقة التفكير الصحيحة في شؤون الحياة. فإذا كنت تتّبع في تفكيرك هذه الطريقة الصحيحة، فستكون قادراً على ضبط نفسك، وتصحيح أخطائك، وهذا سيؤدّي إلى إنقاذ مستقبلك. أمّا إذا كنت تأخذ المسار المعاكس تماماً، فسوف تلقي اللوم على الآخرين بسبب مشاعرك السيئة وقت الشدّة، ومن ثمّ تتخذ خيار العنف، وتتّبع نهج اللاسلم. وفي المُحصلة، فإنّ النتيجة ستكون تدمير مستقبلك، بعد أنّ كنت قد دمّرت فعلاً حاضرَكَ وماضيك.

دَعْ قَانُون الطَّبِيعَةِ بِأَخْذِ مَجْرَاهِ

وفقاً لقانون الطبيعة في هذا العالم، فإنّ الحقيقة تدوم، في حين يكون مصير الباطل إلى زوال. وفي ضوء هذا الوضع، يكفي أن نتّبع سياسة الصمت لتدمير الباطل. فالجهر والحركات الاحتجاجية لإثارة التحريض ضدّ الباطل يمنحه حياة في الواقع، في حين أنّنا بتبني سياسة التجنّب نمنحه موتاً طبيعياً.

إنّ السكوت عن الباطل يعني تجاهله، وعدم إعطاء أيّ ردّ فعل عنيف تجاهه، أو إطلاق أيّ احتجاجات ضده. ومع ذلك، فإنّ الذين يختارون مثل هذه السياسة هم الذين يدركون قوّة الطبيعة، الذين يضعون ثقتهم فيها. أمّا أولئك الذين لا يدركون هذا فإنهم يمنحون الحياة للباطل من خلال الاحتجاج والتظاهر ضده.

ينغمس الناس في الاغلب في ممارسة العنف تحت ادعاء اجتثاث الباطل، وهذه ليست سوى حماقة؛ فليس للكذب جذور ثابتة، فهو إلى زوال. وفي مثل هذه الحالة، ليست هناك حاجة إلى العنف غير الضروريّ لمحو ذلك، ولهذا فإن اعتماد المسار السلميّ لمواجهة الباطل يعدّ خياراً مناسباً مثل اقتلعه.

سياسةٌ عفا عليها الزمن

إنّ العصر الحاضر هو عصر العولمة؛ فالعالم بأسره قرية عالمية. وإذا نظرنا إلى الأمر من وجهة النظر هذه، نرى أنّ العنف أو النضال المسلّح قد اكتسب طابع المفارقة التاريخية، فلو سألت المشاركين في المواجهة المسلّحة عن سبب اعتمادهم هذا النهج، فإنهم سيقولون: إنهم فعلوا ذلك من أجل إسقاط الحكومة الحاليّة، وإنّهم يهدفون إلى بناء نظام جديد، وتحقيق هدفهم للاستيلاء على السلطة. ولكنّ كلّ هذا التفكير هو نتيجة عدم إدراكهم تماماً لروح هذا العصر.

لقد شهد هذا العصر تحولاتٍ عظيمةً ما جعل الاستيلاء على السلطة السياسيّة غير ضروري، وحتى من غير امتلاك السلطة السياسيّة، فإنّ الذين يهدفون إلى تغيير الأنظمة الاجتماعيّة يستطيعون إنجاز أيّ شيء يريدونه من خلال المؤسسات غير السياسيّة.

إن امتلاك وسائل الاتصالات والتصنيع الحديثة جعلت مسألة استلام الحكم تتراجع إلى موضع ثانوي ، مع التركيز على «الإدارة والتسيير» أكثر من التركيز على الحكم الملكي أو حكم اللا ملكية، وهكذا، أصبح بالإمكان تحقيق أي إصلاح أو بناء للدول من دون الطموح إلى الرفقة السياسية.

وفي الواقع أنّ السلطة السياسيّة قد تراجعت لدرجة لا تتعدّى أن تكون أكثر صداعاً لمن يمارسونها. لذلك، يجب عليك ترك هذا الصداع للآخرين، وأن تحاول تحقيق أهدافك سلمياً. عندئذٍ، سوف ترى أنّك قد انتصرت في الحرب من غير الدخول في معركة، ومن غير امتلاك السلطة السياسيّة، وتمكّنت أيضاً من الحصول على الفوائد المحتملة جميعها، وربما أكثر ممّن كانوا سابقاً مرتبطين بالسلطة السياسيّة.

العنف نتيجة للكراهية

إنّ أحد الأسباب الرئيسيّة للعنف هو الكراهية، والكراهية في الأساس هي نتيجة للتفكير السلبي. إنّ التفكير الإيجابي والكراهية لا يتفقان، وبناءً على هذا، وللمحافظة على مجتمع مسالم، فمن الضروريّ ألا نتوقف عن تشجيع التفكير الإيجابي أبداً. وهنا ينبغي شرح الأحداث بطريقة لا يلجأ الناس فيها إلى التفكير السلبي، بل على العكس من ذلك، أن يشعروا بالحافز للتفكير بطريقة إيجابية.

سياسات العنف الدينيّ

إنّ السياسة العاطفيّة هي أحد أسباب الكراهية والعنف، ولاسيّما عندما تقوم على شعار: «الدين في خطر»، وعند تقديم صورة خطأ أو مبالغ فيها، فإنّ بعض الكُتاب والمتحدثين يحاولون أن يعطوا انطباعاً بأنّ دينهم مهدّد من الآخرين، وقد شُنّت الآن حملة عاطفيّة وبحماسة كبيرة تحت اسم المحافظة على الدين. وبعيداً عن إنقاذ الدين من الخطر، فإنّ هذه السياسة تهدد المجتمع كلّ من خلال تدمير السّلام.

إنّ هذا المفهوم الذي ينصّ على أنّ الدين في خطر يعني بوضوح أنّ مجتمعاً آخر سيُلام على هذا الخطر، وهذا يشجّع كراهية بين مجموعة لأخرى. وعندما تقشل سياسة المواجهة في وضع حدّ للخطر المفترض، فإنّ الإحباط يسود، وهذا بدوره يؤدي إلى أن يكون العنف إستراتيجيةً مبتغاة. وأخيراً، عندما لا يعطي العنف النتيجة المرجوة، يكون الانتحار الخيار المرجّح.

إنّ الشّباب المشحونين بالعاطفة، يلجؤون إلى التنفيس عن الكراهية المتزايدة للعُدوّ المفترض من خلال تنفيذ تفجيرات انتحاريّة، ومن ثمّ فإنّ سياسة في خطر الدين تتحوّل في مراحلها النهائيّة تتحوّل إلى سياسة انتحار (دينيّ). وعليه، فإنّ عمليّة إطلاق تحرّكاتهم تحت غطاء إحياء الدين يبرهن على أنّ هذا هو المسمار الأخير في نعشهم، فضلاً على غيرهم. والحقيقة هي أنّ الطريقة الوحيدة ليخلّص الإنسان نفسه من هذه السياسة التدميريّة هي بوقف العنف المرفوض في الظروف جميعها. وما من عذر يمكن أن يكون مسوّغاً لاستخدام العنف مهما كبر أو صغر.

إنّ عالم اليوم هو عالم الاختلافات، فكلّ رجل إنسان مختلف، وكلّ امرأة إنسانة مختلفة. ولهذا، نجد أنواع الاختلافات جميعها بين الناس. ولكن، عندما تأخذ هذه الاختلافات منحى عاطفيّاً، فإنّها تقود الناس إلى سلوك الحقد ما يجعل العنف يعصف بالمجتمع كله.

ليس هناك سوى حلّ واحد ممكن لهذه المشكلة، وهو غرس فكرة أنّ على أفراد المجتمع جميعهم العمل ضمن إطار سلميّ، بغضّ النظر عن الظروف المحيطة بهم.

وعليهم، وتحت أيّ ظرف من الظروف، ألا يصبحوا خارج مضمار السّلام؛ فالعقلية الصحيحة لا يمكن تكوينها إلا إذا أدرك الناس حقيقة أنّه في هذا العالم لا يمكن تنفيذ أيّ مهمة إلا من خلال السّلام، ولا يمكن إنجاز أيّ مهمّة بنجاح من خلال العنف؛ لأنّ العنف لا يسهم إلا في التدمير وليس البناء، فلا يوجد دين في خطر أبداً، فالدين الذي يبدو أنّه في خطر ليس بدين بتاتاً.

من الانتقام إلى العنف

كثيراً ما يحدث أنّه إذا تأدّى شخص على يد آخر، أو مجموعة على يد أخرى؛ فإنّ الانتقام يصبح هو الهدف المباشر، لكن الذين يصممون على الانتقام يميلون إلى نسيان تحذير التاريخ - التحذير المكتوب على كلّ جدار بلغة صامته: فكّر قبل السعي إلى الانتقام؛ لأنّ الانتقام يقابله انتقام. وبهذه الطريقة، تبدأ سلسلة من أعمال العنف بالتشكل والتراكم ولا تنتهي إلا بعد استفاد كلا الجانبين لطاقتهما ومواردهما، أي الحد الذي يجعلهما غير قادرين على التحكم بهذا الانتقام.

عندما يكون لأيّ فرد أو جماعة أيّ سبب للشكوى، فإنّ الحلّ لا يكمن في الأعمال الانتقاميّة، بل في الاستمرار في التحرك إلى الأمام، عن طريق تبني سياسة تقوم على تجنب الصراع. إنّ مثل هذا التجنّب يضع حدّاً لهذه المشكلة من بدايتها، في حين يؤدّي رفض تجاهل المشكلة إلى ردّ فعل متسلسل ولا نهاية له من الانتقام والكرهية والعنف. ومن ثمّ، فإنّ سياسة تجنب الصراع هي طريق محبّي السّلام، في حين أنّ الانتقام هو طريق العنف.

إنّ الانتقام موجه نحو الآخر دائماً، ولكن المتضرر الأكبر فعلياً هو الذي يختار نهج العنف بدايةً، والثمن الباهظ الذي يدفعه لسياسة الانتقام هذه هو أنّ عقله يصبح مخزناً للتفكير السلبي، وهنا، وبدلاً من استهلاك موارده في بناء حياته، فإنّه يبدأ بتبديدها على تدمير الآخرين.

فلو قلنا: إنّ أحد الخصوم جعله لـصرف ما يصل إلى خمسين بالمئة من طاقاته وموارده وما إلى ذلك، فإنّه شخصياً، ونتيجة لسياسته الانتقاميّة، سييذر الخمسين بالمئة الأخرى.

وإذا ما نظرنا إليه من منظور نهايته المنطقية، فإنّ الانتقام يعني ببساطة أن أي شخص بعد تعرضه لمحاولة لقتل فإنه قد يلجأ إلى أسلوب قد يؤدي في النهاية إلى موته، والحقيقة هي أنّ الانتقام شرّ بحد ذاته بغض النظر عن الظروف، أمّا الامتناع عن الانتقام عن طريق تجاهله فهو فضيلة في الظروف كافة. وإذا كان من يطالب بالانتقام عدوك، فإنك وبرّد الانتقام بمثله تصبح عدوّ نفسك، والذين يتحوّلون إلى أعداء أنفسهم لا يمكن إنقاذهم من الدمار من قبل أيّ كان.

صيغة للسّلام الاجتماعيّ

السّلام فطرة بشرية ولا يختل السّلام في أيّ مجتمع إلا عندما يؤدي أيّ عمل عنيف إلى حرف الإنسان عن طبيعته. والحقيقة هي أنّ «الأنا» موجودة داخل كلّ واحد منّا، وهي حالة عقلية، التي لا تلبث إذا ما استُفزّت أن تشتعل وتشر الخراب والدمار. ولكن بحكم طبيعتها، ووفقاً لنظام الخلق، فإنّ هذه «الأنا» عموماً تظل في حالة سكون. وعلى هذا، فإنّ أسهل طريقة للحصول على مجتمع سلميّ هو بعدم إزعاج هذه الأنا. إنّ السّلام الاجتماعيّ يعكّره أولئك الذين استُفزّت «الأنا» فيهم، فإذا امتعنا عن مثل هذا الاستفزاز، فلن يكون هناك إزعاج للسّلام الاجتماعيّ.

إنّ هذا يدلّ على أنّ إرساء السّلام الاجتماعيّ وحمايته أمر في حدود سيطرتنا، وليس تحت رحمة العناصر المعادية للمجتمع. وهذا يدلّ بدوره على أنّك إذا لم تستفزّ (أنا) الآخرين، فسوف تكون بالتأكيد في مأمن من عنفهم.

إنّ حيازة الأسلحة لا يحقق ضماناً للأمن الاجتماعيّ؛ فمبدأ الأمن الاجتماعيّ هو في أنّ تصبح جاراً من أجل الآخرين محباً للسّلام. إنّك بعدم ارتكاب أيّ عنف ضدّهم، ستصبح بالتأكيد، في مأمن من الشرّ والعنف منهم، وبكركهم للآخرين فإنّك سوف تتلقى الكراهية منهم في المقابل، أمّا إذا كانت لديك مشاعر الحبّ والنيّات الحسنة تجاههم، فإنّك سوف تتلقى المشاعر نفسها منهم، وبذا فإنّك في هذا العالم ستلتقى السّلام مقابل السّلام، والعنف مقابل العنف.

الإرهاب - سلوك همجيّ

إنَّ شرَّ الإرهاب قد أصبح فتنةً الوقت الحاضر، وهو مُدان على نطاق واسع، ولكنَّ ماهية الإرهاب لم تُعرّف حتى الآن بوضوح. لقد توصلتُ بعد قدر كبير من التفكير في هذا الموضوع إلى الاستنتاج بأنَّ الإرهاب يُعرّف بأنّه عمل مسلّح تقوم به منظمات غير حكوميّة. وبالتأكيد، فإنَّ للعامّة الحقّ في التعبير عن وجهة نظرهم على نحو سلمي، ولكنهم لا يملكون الحقّ قطعياً بالمشاركة في عمليات متلاحقة عن طريق الحركات المسلّحة، لأن هذه الحريات تتناقض مع كلّ القيم المرعية محلياً وعالمياً. إنَّ ما يعرف بالإرهاب في الوقت الحاضر ما هو إلا نتيجة للعمل المسلّح من قبل منظمات غير حكوميّة.

إضافة إلى ذلك، لا يمكن شنّ الحرب إلا عن طريق حكومة شرعيّة، وحتى الحكومات الشرعيّة، فإنَّ هناك عدداً من الشروط الضروريّة لإطلاق الحملات المسلّحة. مثلاً، يمكن لهذه الحكومات أن تخوض معركة دفاعيّة فقط، ولا يمكنها أن تبدأ العدوان. وبالمثل، فإنَّ الحرب الشرعيّة لا يمكن خوضها إلا بعد إعلان رسميٍّ للحرب، فلا مجال لحرب غير مُعلنة في مجتمع متحضّر، ثمَّ إنّه حتى في معركة دفاعيّة قانونيّة يجب على الحكومة أن تصدر الأوامر الصارمة بعدم التصرّض للمدنيين؛ لأن قتل غير المسلّحين أو إصابتهم يُعدّ عملاً غير قانونيّ حتى في حالة الحرب.

ووفقاً للمبادئ الإنسانيّة المعمول بها، فإنَّ شكلاً واحداً فقط من أنواع الحرب يُعدّ مقبولاً؛ إنها الحرب التي لا يمكن تجنبها دفاعاً عن النفس، أمّا أيّ نوع آخر من الحروب، من مثل: الحرب العدوانيّة، والحرب بالوكالة، وحرب

العصابات، والحرب غير المعلنة، فتُعدُّ حروباً غير قانونيةً وفقاً للمبادئ الدولية، ولا يمكن وصف هذه الحروب بأنها شرعية تحت أي ذريعة كانت.

ووفقاً للتعريف أعلاه، فإنَّ أيَّ حركة تبنى على الإرهاب تُعدُّ بالتأكيد غير قانونية. ولا يمكن تبريرها ببساطة بإعطائها أسماءً رنانة. وعليه، فإنَّ أيَّ محاولة لتحقيق أهداف الإنسان عن طريق الانخراط في الإرهاب بدلاً من استخدام الوسائل القانونية اللازمة لذلك، هو انتهاك للحدود كلها.

ولذلك، لا بدَّ من إنهاء الإرهاب في العصر الحديث، لكن هذا لا يمكن أن يتمَّ من خلال الهجمات المضادة، ويعود ذلك إلى سببين: أمَّا أولهما فلأنَّ ذلك سيكون أشبه بمحاولة قمع الإرهاب غير الرسمي من خلال إرهاب الدولة، وأمَّا ثانيهما فلأنَّ الإرهاب الحديث يستمدُّ قوّته من عقيدته أكثر ممَّا يستمدّها من البنادق والقنابل. ولهذا السبب، فإنَّ عقيدة مضادة بدلاً من التفجيرات المضادة ستكون أكثر فعالية لوضع حدٍّ للإرهاب.

إنَّ العقيدة التي يلتزم بها الإرهابيون تجعلهم يؤمنون بأنهم بموتهم في المعركة سيصبحون شهداء، وبهذا سيحصلون على حياة جديدة في الجنة أفضل بكثير من الحياة الدنيا.

إنَّ هذا الاعتقاد هو الذي جعل من التفجيرات الانتحارية مسوّغاً مقبولاً في نظرهم فبناءً على ذلك، فإنَّ أعمال العنف التي يقومون بها لن تتوقف إلا بعد أن يثبت لهم من خلال عقيدة مضادة أن عقيدتهم لا أساس لها من الصحة.

إضافة إلى ذلك، ينبغي معرفة أنَّ الإرهابيين المعاصرين، وأكثرهم من جيل الشباب اليافع، لن يكونوا قادرين على مواصلة أعمالهم من غير الدَّعم النقدي الواسع النطاق، والتعاطف الشعبي ووضوعهم بأنهم أبطال، وهذا كلُّه

يتلقّونه من غير (المقاتلين السلبيين)، أي من غير المشاركين في أنشطة وأعمال عنيفة.

إنّ المتشددّين السلبيين هم، إذا جاز التعبير، خطّ الإرهاب الثاني، ودورهم مهمّ؛ وذلك بتوفير البنية التحتيّة والتموين اللازمين. ولا يمكن شنّ حرب بنجاح إلا إذا استمرّت خطوط الإمداد بتقديم المتطلبات العسكريّة جميعها منقوصة من دون أيّ انقطاع، وإذا حدث أن انقطعت تلك الإمدادات، فإنّ الحرب ستتوقف تلقائيّاً، مثلما قد يموت إنسان عند قطع الأكسجين عنه. ولكنّ، وعلى نحو عقديّ، فإنّ المتشددّين السلبيين يزون أن من واجبهم تقديم المساعدة الكاملة للإرهابيين النشيطين. وإذا كان عدد الإرهابيين بالآلاف، فإنّ عدد المؤيدين يصل إلى الملايين، ومادام الأمر كذلك، فإنّ إبادة الإرهابيين الناشطين المعروفين لا تكفّ لوضع حدّ لظاهرة الإرهاب.

إذن، لا بدّ من التصديّ لمسألة الدعم الهائل المقدّم من جميع أنحاء العالم من الإرهابيين السلبيين على الفور، ولا بدّ من تغيير عقولهم وتحويل تفكيرهم المتعلق بالعنف إلى تفكير مسالم. حينئذ فقط، سيكون من الممكن تخليص العالم من خطر الإرهاب.



الفصل الرابع: القبول الإيجابي بالوضع الراهن

يُعدُّ الأسلوب السلمي من وجهة نظر معيَّنة اسمًا آخرٌ لحالة القبول بالوضع الراهن، فحالة القبول بالوضع الراهن لشخص محبٍّ للسلام ليست شكلاً من التراخي أو اللافعل، بل هي خطة عمل إيجابية بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى؛ أي إنَّ فحَبَّ السَّلام يقبل بالوضع الراهن لإبعاد نفسه عن نقطة المواجهة إلى ميادين أخرى؛ حيث يمكن له المضيَّ قُدماً في العمل البناء. وبدلاً من التورط في المشكلات، فإنَّه يتطلع إلى المستقبل بوجه طاقاته من أجل الإفادة من الفرص المتاحة. ولهذا السبب، فإنَّ حالة الرضا بالأمر الواقع لشخص محبٍّ للسلام هي حقاً قبول إيجابي للوضع الراهن.

وفي عالم المصالح المتضاربة، فإنَّ حالة القبول الإيجابي للوضع الراهن هي القاعدة المثلى لتصور مشروعات بناءة وتنفيذها. إنَّ تبني مثل هذه الحالة قد يتطلب توافر فضائل خاصَّة، مثل البصيرة وبعد النظر، فضلاً على المقدرة العالية على التخطيط. ومن ثَمَّ فهي تؤدي إلى فائدة مزدوجة: أولاً، عدم الاخلال بالسَّلام، وثانياً، ضمان للنجاح في نهاية المطاف. ويمكن تلخيص هذه الصيغة كما يأتي: تجنُّب المواجهة، واعتماد النشاط السلمي.

الورود وأشواكها

كما في عالمنا ورود، هناك أشواك أيضاً. ولذلك، فإنَّها خبرة عامَّة لكلِّ من يريد المشاركة في أيِّ نشاط إيجابيٍّ أن يدرك بأنَّ هناك عقباتٍ في طريقه،

وربما بسبب قانون الطبيعة تحديداً، وهذا ينطبق على الفرد، وكذلك على الأمة بأسرها. إن إحدى الطرائق لمعالجة مثل هذا الوضع عنده هو البدء في إزالة العقبات الموجودة في طريقه جميعها، ومن ثمّ يبدأ العمل على إنجاز هدفه. وتعرف هذه الطريقة عموماً بالتطرّف (الراديكاليّة).

إنّ الراديكاليّة مغرية جداً للمتطرفين، أو إلى أولئك الذين تقودهم عواطفهم، ولكنها غير عمليّة من حيث تحقيق أي هدف إيجابي وفي الوقت الذي قد تستخدم فيه الراديكالية على نحو فاعل لأغراض التدمير، فإنها تصبح عبثية أكثر وغير مجدّية عندما يتعلق الأمر بالبناء. وحالما يُختار طريق التطرّف، فإنّ النظام السائد لن ينهار فحسب، بل، وبسبب الأعمال التدميريّة، ستهاوى أيضاً التقاليد الاجتماعيّة كلّها التي استمرّ بناؤها قروناً طويلة. ونتيجة لسفك الدماء والمواجهة العنيفة، فإنّ عدداً لا يحصى من الناس سيقعون ضحيّة لمختلف أنواع الآلام والمصائب. ومع أن الخبرة تظهر أنّ أسلوب التطرّف يكون جذاباً من الجانب النظريّ الفكريّ، إلا أنه من حيث النتائج العملية يخلو من أيّ مزية إيجابية.

الأسلوب الآخر يكون بتجنّب المواجهة مع الوضع الراهن، ووضع خطة للأعمال المحتملة ضمن المجالات الممكنة. وبالقبول المؤقت بالوضع الراهن، فإنّه يمكن اغتنام الفرص الحاليّة، وهذا هو التقبّل الإيجابي للوضع الراهن الذي أشرت إليه سابقاً في هذا الفصل.

إنّ طريق التطرّف تنتج العنف دائماً، وعلى العكس من ذلك، فإنّ التقبّل الإيجابي للوضع الراهن يحقق هدفه عن طريق المحافظة على السلام في المجتمع.

ومع أن الأول يؤدي دائماً إلى تفاقم المشكلة، فإنّ الثاني، يسير بطريقة سلسلة، عن طريق تجنّب الاحتكاك، من غير التسبّب في أيّ مشكلات. فلو كانت الطريق الأولى هي طريق الانحراف، فإنّ الثانية هي طريق البناء.

سياسة فك الارتباط

أيضاً، يمكن تعريف القبول بالوضع الراهن على أنّه سياسة فكّ ارتباط، وهذا يستلزم إيجاد السبل للعمل السلمي على الرّغم من وجود الخلافات، ما يعني أنّه، وبغضّ النظر عن وجود حالة صراع على المصالح، وعلى الرغم من الظروف غير المواتية، فإنّ مثل هذه الإستراتيجيات يجب تبنيها، وهذا قد يحول دون شنّ الحرب، ويعمل على إيقاف وقوع أعمال العنف. لذا يجب وضع القضايا الجدليّة جانباً حتى يمكن اغتنام الفرص المتوافرة في جوّ سلمي. وباتّباع هذه السياسة، فإنّنا نحقق مكسبين في وقت واحد: الأول، إحلال السّلام على الرغم من الأجواء الكريهة الناجمة عن الخلافات، والآخر، الإفادة المثلّي من فرص العمل على الرّغم من وجود مشكلات. إنّ واحدة من الفوائد الكبيرة لسياسة الفصل - من حيث إنّها الصيغة الطبيعيّة الأكثر نجاحاً لإرساء السّلام - هي أنّ الظروف التي تؤدي إلى إجراءات تعتمد على النتائج لم تعدّ مسألة من الماضي، لكنّها أصبحت حقيقة اليوم.

أوجه التفكير الإيجابي

إنّ القبول الإيجابي بالوضع الراهن هو، الإستراتيجية الأكثر نجاحاً لبناء حياة سلميّة، ومع هذا، فإنّ الشرط الضروريّ للاستثمار هذه الإستراتيجية هو أن يكون الإنسان نوعاً من الاتجاه الإيجابي الذي سيمكنه من الارتقاء فوق

ظروفه. وحتى في أكثر الحالات السلبية، فإنّه ينبغي له أن يكون قادراً على مواجهة العواصف كلها، كما تفعل الطيور الكبيرة مع العاصفة، وينبغي ألا يكون تفكيره مرتبطاً بشروط مسبقة، بل عليه أن يفكر في أفعاله، ويخطط لها من دون أيّ تمييز أو تحامل.

إنّ إحدى العقبات التي تحول دون القبول الإيجابي بالوضع الراهن، هي الميل إلى إفساح المجال للغضب، والرغبة في الانتقام؛ لأنّ مثل هذا الموقف يسمّم عقل الإنسان، بحيث لا يعود قادراً على التفكير بموضوعية. إنّ غياب الموضوعية هذا هو السبب الرئيس للفشل في اتخاذ موقف إيجابي.

الغضب ضعف

إنّ الغضب قاتل السّلام؛ فهو يؤدّي في كثير من الأحيان إلى العنف، وإطلاق العنان للغضب هو علامة ضعف، في حين أنّ السيطرة عليه علامة قوّة. إضافة إلى ذلك، فإنّ الغضب يربك قدرة الإنسان على التفكير؛ فلا يمكن للرجل الغاضب فهم أيّ قضية بطريقة واضحة صحيحة، ولا يمكن أن يتجاوب مع الوضع بطريقة كافية مناسبة. والأسوأ من هذا أنّ الإنسان عندما يكون غاضباً فإنّه يكون ميّالاً إلى العنف. والحقيقة هي أنّ العنف ليس حلاً لأيّ مشكلة، ومن يستطيع أن يمنع نفسه من الخضوع للغضب، فإنّه سيتمكّن من جعل أيّ موقف يواجهه في مصلحته عن طريق السعي إلى حلّ سلمي، وهو السبيل الوحيد والمؤكّد لحلّ أيّ مشكلة كانت.

إنّ للعقل البشريّ قدراتٍ غيرَ عادية؛ فعندما لا يكون غاضباً، فإنّه يستطيع توجيه قدراته للحصول على أفضل النتائج، ولكن عندما يكون غاضباً، فإنّه يفقد توازنه العقليّ، ولا يكون في وضع يسمح له بالاستخدام الكامل لقدراته

الفصل الرابع: القبول الإيجابي بالوضع الراهن

العقلية لمصلحته. وباختصار، فإنَّ الإنسان ينتصر عندما لا يفضب، وينهزم عندما يفضب. ولا يجب أن يغيب عن البال أيضًا أنَّ التغلّب على الغضب ليس مجرد مسألة كبت للعواطف، بل هو القدرة على التعامل مع المشكلة عن طريق التسامي على سلبية الغضب.

على المرء أن يكون قادرًا على الرد، غير متأثر بالعواطف على الرغم من الاستفزاز. وهذا لا ينطبق على الفرد فقط، وإنما على الأمة كاملة. إنَّ القبول الإيجابي بالوضع الراهن هو بلا شك أضمن طريقة لتحقيق النجاح، وأولئك الذين يتبنون هذه الطريقة فقط هم الذين لديهم القدرة على التفكير المستقل بعيدًا عن سيكولوجية الغضب.

ولا يمكن تبني مبدأ القبول الإيجابي بالوضع الراهن إلا الذين يتمتعون بانضباط عقلي بعدم اللجوء إلى العنف، على الرغم من مواجهتهم مواقف غير سارة. أمّا الذين لا يستطيعون كبح ميولهم العنيفة، فلن يكونوا قادرين على معرفة فوائد القبول الإيجابي بالوضع الراهن.

أسلوب اللاعنف

إنَّ أحد قوانين الطبيعة هو أنَّ اللاعنف قضية موجّهة لتحقيق النتائج، في حين أنَّ العنف موجه للإحداث الدمار. لذلك، إذا كان الفرد قد حصر أنشطته في مجال الرفق واللاعنف، فإنَّ عمله سوف يسفر عن نتائج جيّدة، في حين أنَّ الشخص الذي يختار طريق العنف والتعصّب يتقهقر إلى الوراء بدلًا من التقدّم إلى الأمام.

ومما لا شك فيه هو أنّ أيّ شخص يختار طريق التعصّب والعنف، فإنّ طاقاته سوف تنقسم من غير مبرّر بين جبهتين: البناء الداخليّ ومحاربة عدوّ خارجيّ، في حين أنّ الشخص الذي اختار الدماثة واللاعنف يمكن أن يكرّس طاقته المتّاحة وموارده كلها نحو جبهة واحدة فقط، هي التماسك الداخلي. نتيجة طبيعيّة لذلك سيتمكّن من تحقيق أقصى درجات النجاح.

هذا هو قانون الطبيعة العامل في عالمنا. فإذا كان على أحدهم أن يحقّق أيّ هدف جليل، فكلّ ما عليه عمله فقط هو الالتزام بالنظام الطبيعيّ هذا؛ المستند كلياً إلى مبدأ السّلام وعدم اللجوء إلى العنف. وبهذا ينجح من خلال الالتزام بهذا القانون، ويفشل في حال الانحراف عنه. لذا، فإنّ الأعمال غير العنيفة يمكن مساواتها بحالة القبول الإيجابيّ بالوضع الراهن.

فوائد السّلام

إنّها لحقيقة أنّ المآثر والأعمال البطوليّة جميعها قد أنجزت في هذا العالم بمساعٍ سلميّة، ولم تُنجز أيّ مهمّة نبيلة باستخدام قوّة العنف. وهذا ينطبق على الاكتشافات والتقدّم التقني؛ فلا المؤسسات التعليميّة، ولا معاهد البحوث كانت قد أنشئت عن طريق وسائل عنيفة، حتى إنّ تحويل الحديد إلى آلات، وتخطيط المدن الرئيسيّة قد تمّ كلّه بقوّة السّلام، لا العنف. وبدءاً من ضمان الرعاية الاجتماعيّة وإنشاء البنية التحتيّة، فقد أنجزت الإجراءات التقدّمية عن طريق إستراتيجيّات سلميّة.

إنّ العنف في حدّ ذاته مدمر، ولا يمكن تحقيق أيّ إعمار بإنتاج الدمار. وهذا هو قانون الطبيعة الذي لا يتغير.

حل مشكلة العداوة

يتمسك بعض الأفراد بفكرة أنّ مجتمعا ما أو أمة ما بعينها عدو لهم، ومن ثمّ، تصبح فكرة العدائية هي السبب والمبرر لاتخاذ طريق العنف، وعندئذ يتخذون موقفا عدوانيا، علنا أو سرا؛ بحجة وضع حد للعداوة. لكن هذه مبنية على فهم خاطئ خطة عمل مثل أي خطة أخرى تبني على افتراض أنّ الحرب يمكن أنّ تكون هي الحلّ.

إنّهم يفشلون في إدراك أنّ أفضل حل لمشكلة العداة تكمن في القبول الإيجابي بالوضع الراهن، وهذا يُسهّل التعامل السلمي مع العدو. إنّ هذا ممكن لأنّ حالة القبول الإيجابي بالوضع الراهن هي حالة نفسية تمكّننا من التعامل مع العدو بطريقة هادئة، ما يجعل العداة نفسه يختفي إلى الأبد.

إن من الضروري أن نعدّ الأعداء جزءا هامشا في حياتنا بدلا من عدّه جزءا لا يتجزأ من وجودنا، وينبغي أن نعترف بأنّ العدائية لأيّ عدو يمكن أنّ تنتهي باتّباع إستراتيجية إيجابية. ويمكننا تشبيه العدو بالفبار الملتصق على الزجاج. إن مثل هذا الفبار يمكن غسله بسهولة بالماء، المشكلة الحقيقية ليست في غياب الماء (أي الإستراتيجية الإيجابية) لغسل الفبار.

يتطلبّ التصفيق وجود يدين اثنتين؛ إذ إنّ بدأ واحدة لا تستطيع التصفيق بمفردها. وبالمثل، فإنّ العداوة مسألة ذات وجهين؛ فإذا أصبح شخص ما عدوك، فعليك ألا تردّ على هذا العداة بمثله. إنّ المثل بالمثل فيما يتعلّق بالعداء ليس بالحلّ الأكثر نجاحا للمشكلة. وبذا، فإنّ تبني سلوك إيجابي تجاه العدو يمكن أنّ يسفر عن نتائج مفيدة، منها أنّ عدوك السابق يمكن أنّ يكون صديقك يوما ما.

العنف نتيجة للإحباط

تتمثل إحدى حسنات القبول الإيجابي للوضع الراهن في أنه يجنبنا الآثار الفتاكة الناجمة عن الإحباط، الذي يأتي من الشعور بالحرمان. وعليه، فإنّ آفاقاً مشرقة تكون واضحة في الحالات جميعها، على الرغم من أنها قد تبدو غير مواتية. وتكمن الفائدة العظمى لحالة القبول الإيجابي للوضع الراهن في أنّها تمدّ البشر بشجاعة فائقة؛ فهي تحميهم في الحالات جميعها من أن يصبّحوا فاقدى الأمل بسبب الأبواب المغلقة في وجوههم، فيفشلوا في تحديد نهج للاستمرار في حياتهم.

إنّ العنف ينبع من الشعور بالحرمان، في حين ينبع السّلام من الشعور بالاكْتِشاف. فأولئك الذين تأصّلت لديهم فكرة أنّهم حرموا ما هو حقّ لهم يعانون دائماً حالةً نفسيةً سلبيةً، وهذه السلبية غالباً ما تتخذ شكلاً من أشكال العنف. ولكنّ أولئك الذين يعيشون مع شعور إيجابي بأنّهم قد خاضوا شعور الاكتشاف، فإنّهم يتمتّعون بالسّلام الذهنيّ، وتبقى حياتهم سلميةً إلى الأبد.

ثبت الأفراد أو الجماعات الذين يشعرون بالكراهية نحو الآخرين، ويلجؤون إلى العنف في تعاملهم معهم، بسلوكهم هذا أنّ مظالمهم مُستمدّة من إحساسهم بالحرمان. وعلى النقيض من ذلك، الأفراد أو الجماعات الذين ينتهجون حياة سلميةً بسلوكاتهم أنّهم استطاعوا العثور على ما يطمحون إليه في الحياة، لكنّ ذهن الشخص المحيط يكون مهووساً دائماً بالأوضاع السائدة، في حين أنّ الشخص المتحرر من نفسية الإحباط يكون قادراً على التفكير من خلال الارتقاء فوق الظروف الحالية. ومن ثمّ، فإنّ الشخص

المحبط هو شخص متوجّه للحاضر، أما الشخص المتحرر من الإحباط فهو شخص متوجّه نحو المستقبل.

العنف غير ضروري

يتعارض العنف الاجتماعي مع طبيعة الإنسان الحقيقية. فالعنف، الأعظم بين الجرائم كلها، قاتل للإنسانية، ومع ذلك يبرز هذا السؤال: لماذا ينجرف الناس نحو العنف؟ السبب هو أنهم يضعون في الحسبان الظروف الحالية فقط، يستطيعون رؤية الآفاق المستقبلية. ثم إن مثل هؤلاء الناس يجدون ما يسمّى بالمسوغات لممارستهم العنف، ويبدو لهم أنّ التسوية يستند إلى حجة منطقية، ولكن حججهم، في الواقع الفعلي، ليست إلا مغالطات واهية. وفي استخفافهم بالآراء العقلانية كلها فإنهم يلتزمون بفكرة أنّ - في حالة مخصوصة بهم، وللسبب كذا وكذا- انخراطهم في العنف أصبح مسوغاً أخلاقياً.

ولكن الحقيقة هي أنّ ما يُسمّى تسوية للعنف هو شيء غير مقبول. فعندما يشارك فرد أو مجموعة في أعمال عنف، يكون لديهم في آن واحد وفي الوقت نفسه خيار الطريقة السلمية غير العنيفة. وإذا كان الأمر كذلك، فلم اللجوء إلى العنف أصلاً؟ فعندما تتوافر فرصة تحقيق الهدف من غير اللجوء إلى العنف، فلماذا يتبنّى الجميع الأساليب العنيفة؟ الحقيقة هي أنه يجب التخلص من العنف من حيث المبدأ عن طريق تجاهله، ويجب اعتماد السلام دائماً. ولذلك، لا ينبغي انخراط الفرد في العنف تحت أي ذريعة كانت، ولا بدّ له من الالتزام بالنهج السلمي في المواقف كلها.

الصبر سرّ النجاح

يتمثل أحد عناصر القبول الإيجابي بالوضع الراهن في سياسة (انتظر وشاهد). وهذا يعني أنّ كلّ ما يستطيع الإنسان فعله وبسهولة في الوقت الحاضر، لا بدّ من إنجازه، في حين يؤجّل عمل كلّ ما يشعر بأنّه يحمل معه مشكلات كثيرة إلى وقت آخر تكون فيه الظروف أفضل.

غالباً ما يحدث أن الإنسان حين تواجهه المشكلات والتحدّيات الصعبة والتجارب المريرة، وفي محاولة للخروج من السخط الهائل، فإنّه يلجأ إلى العنف، لكنّ هذا النوع من ردّ الفعل هو نتيجة الانحراف عن الطبيعة. فالحقيقة هي أنّ قانون الطبيعة يفضّل دائماً أولئك الذين يتبنون المسار الواقعيّ. فإذا كان مثل هؤلاء الأفراد أو الجماعات الذين يقفون إلى جانب الحقيقة والعدالة لا يتصرّفون بسلوك متهور، ويلازمون الصبر، فإنّ الظروف المواتية ستأتي في نهاية المطاف لتخبرهم بأنّ النجاح سوف يأتيهم طوعاً. وفي معظم الحالات، فإنّ الفشل ينتظر أولئك الذين لا يطيقون صبراً؛ لأنّهم يتصرّفون بعاطفيّة من غير التفكير في التداعيات المحتملة. وعلى النقيض من ذلك، فإنّ الذين يختارون طريق الصبر يكون مصيرهم النجاح.

وعندما يسلك الفرد طريق الصبر، فإنّه يتّبع مسار الطبيعة، أمّا عندما يعتمد مسار قلة الصبر، فإنّه ينحرف عن مسار الطبيعة. ومن ينحرف عن مسار الطبيعة فلا توجد لديه احتمالات للنجاح في عالم الله تعالى هذا.

سياسة موجّهة نحو المستقبل

بعبارة أخرى، يمكن التفكير في القبول الإيجابي بالوضع الراهن على أنه شكل من أشكال البصيرة. فهو بوصفه طريقة يسير وفقاً للقانون الطبيعي (انتظر وشاهد). هناك أوقات يجد كل فرد ومجتمع نفسه في نوع من المواقف التي يشعر فيه أنه أمام بعض العقبات التي تمنعه من إحراز أيّ تقدّم. وفي مثل هذه الحالات، فإنّ معظم الناس يعدّون مثل هذه الظروف الصعبة ظروفاً دائمة، فيبدؤون الصراع معها من أجل إزالتها. إنّ صراعاً من هذا النوع يثبت دائماً أنه بلا جدوى، إنّهُ فقط يجعل الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ. لذا، ينبغي أن نتذكّر أنّ الظروف الصعبة غير دائمة هنا، فهي ذات طبيعة زائلة. وبناء على ذلك، فإنّ الحلّ السهل لهذه المشكلة يكمن في تجاهل ذلك، بدلاً من شنّ الحرب على الظروف. إنّ هذه السياسة ستحافظ على السّلام الذهني للإنسان، وأياً كان ما لا يستطيع الحصول عليه الآن، فسوف يأتي الوقت الذي سيصبح متاحاً له. من الملاحظ أنّ الإنسان عندما يواجه مشكلة ما، فإنّه يريد حلّها من غير أيّ تأخير. ومن هنا يبتدئ المسار غير الصحيح؛ فلو استطاع وضع مشكلاته جانباً ولو مدّة قصيرة، فإنّه سيجد أنّ الحلول تقدّم نفسها من غير الحاجة إلى قتال الظروف، أو المواجهة مع الخصوم، فمشكلاته لن تستمرّ إلى أجل غير مسمّى. وفي معظم الحالات، فإنّ العنف يحدث فقط بسبب عدم تطبيق هذا المبدأ في الحياة اليومية.

تجنّب الخلاف

بلا ريب، يُعدُّ القبول الإيجابي بالوضع الراهن ضماناً للنجاح. لكنّ الالتزام به لا يكون ممكناً إلا لمن يملك القدرة على الامتناع عن سياسة المواجهة، على الرغم من الاستفزاز، ومن لا يشارك في الانتقام تحت أيّ ذريعة.

إنّ مواصلة الحياة عن طريق تجنّب المواجهة هو سرّ النجاح؛ فتجنّب الخلاف يعني عدم إعطاء أيّ فرصة للآخرين لإحداث احتكاك؛ بمعنى كما ظهرت خلافات بين طرف وآخر، فإنّ التسوية بينهما يجب أن تقتصر على أجواء التفاوض السلمي. ولا ينبغي أن تتطوّر الخلافات إلى المواجهة الفعلية بين الطرفين.

في كثير من الأحيان، غالباً ما يحدث في هذا العالم أنّ ينشأ توتر بين دولتين، وهذا التوتر في حدّ ذاته شيء طبيعي لا مفرّ منه، مهما كانت الأوضاع. ولكنّ ما هو جدير حقاً بالاهتمام هو أنّه لا ينبغي السماح بهذا التصعيد إلى أجل غير مسمّى.

ما معنى أن تبقى الاختلافات ضمن الحدود؟ إنّ ما يعنيه ذلك هو أن تقتصر تلك الخلافات على المجال السلمي، فعندما تصل الخلافات إلى المرحلة الفعلية في الصدام والعنف، تكون الحدود جميعها قد انتهكت. باعتقادي أن لا عيب في إبقاء الاختلافات ضمن حدود، والخطأ هو في تخطي حدود اللباقة الطبيعية جميعها. إن من الضروري على من يرغب في متابعة هدف جيّد بنجاح، أن يطرح النقاط المرتبطة بهدفه جميعها على بساط البحث، أما مناقشة أيّ شيء آخر غير الهدف الفعليّ فهو لعنة على كلّ صاحب مهمّة.

ولكن، كيف يمكن تأسيس جوٍّ من الحوار في أجواء غير تصادمية بين المتكلم والمُخاطَب؟ الجواب هو أنّ هذه الأجواء يمكن إيجادها فقط من جانب واحد عن طريق التحلّي بالصبر من صاحب الهدف الإيجابي. ومن الناحية العملية، لا توجد وسيلة أخرى ممكنة لذلك. فعلى الإنسان الهادف، بتجنّب الاحتكاك، المحافظة على جوٍّ طبيعيٍّ بينه وبين الخصوم المحتملين، بحيث تمضي رحلته قُدماً من غير عوائق، إنّ مثل هذه الحكمة هي التي توفر الأساس السليم لحالة القبول الإيجابي بالوضع الراهن.



الفصل الخامس: معارضة سُنَّة الخلق

إنَّ الاقتناع بفكرة أنَّ العنف مبدأ قابل للتنفيذ لتحقيق الأهداف الشخصية، ومن ثمَّ إطلاق العنان للنفس بممارسة العنف، هما أمران ضدَّ سُنَّة الخلق، فلا المفهوم ولا الأفعال الناجمة عن ذلك تتفق مع السُنَّة الإلهية للخلق، وهذا هو السبب الذي يجعل العنف لا يؤدي إلى أيِّ نتائج جيِّدة، أو أن يخدم أيِّ غاية ما عدا الدمار.

فلو أنَّ مزارعاً كانت لديه قطعة أرض خصبة، فإنَّه يستطيع زراعة كميات وافرة من المحاصيل، ولكنَّ هذا لن ينجح إلا إذا اتَّبِع طريقة مناسبة تتسجم مع الطبيعة. ولكن، إذا ابتداءً، ومن غير تفكير، برشق الحجارة أو إسقاط القنابل على حقله، فإنَّه لن يكون قادراً على جني المحاصيل المطلوبة. فعلى الرغم من كونه صاحب مساحات خصبة، فلن يكون أفضل حالاً من الشخص الذي لا يملك أيِّ شبر مربع من الأراضي باسمه. وينطبق الشيء نفسه على الحياة البشريَّة؛ فهي تزدهر في جوِّ السَّلام، وتفنى في جوِّ العنف.

إنَّ العنف نتاج للاختلافات بين الناس. فالذي يؤمن بالأساليب العنيفة يُعدُّ الاختلافات شرّاً أو عقبة في مسار حياته. ولهذا السبب، فإنَّه يصمم على اجتثاث هذا الشرِّ، لأنَّه يعتقد أنَّه لا يمكنه تحقيق أهدافه إلا عندما يزيل الخلافات بينه وبين الآخرين. ويُعدُّ هذا سوء فهم كبير؛ لأنَّ الاختلافات ليست من صنع الإنسان، فهي من ترتيب الخالق نفسه، وهي جزءٌ أساسيٌّ من الطبيعة، فلا يمكن أن يوضع حدٌّ لأيِّ شيء يكون جزءاً أساسياً من الطبيعة. وعليه، فإنَّه لا يمكننا إلا أن نقبل الطبيعة على ما هي عليه، والقضاء عليها

هو أبعد من قدراتنا. ولهذا السبب، عندما تُقتل مجموعة بدعوى الاختلافات، فإنّ مجموعة أخرى تأخذ مكانها فوراً، ويستمرّ الأمر إلى ما لانهاية بهذه الطريقة. وهذا هو السبب في أنّ هذه السلسلة من الفعل وردّ الفعل بشأن مسألة الاختلافات لا يمكن وقفها.

إنّ أسلوب العنف يتعارض مع سنّة الطبيعة، التي تضمن لكلّ فرد كامل الفرص لأداء دوره أو دورها في التقدّم البشريّ عن طريق استغلال القدرات إلى الحدّ الأقصى. ولا يمكن الإفادة من هذه المزية إلا في جوّ سلميّ. إنّ مرتكبي أعمال العنف، عن طريق تصنيف الناس إلى أعداء، يحاولون القضاء على حياة الناس الغالية، حتى قبل أن تُتاح لهم الفرصة للإفادة من قدراتهم، وكذا إفادة الإنسانيّة منها.

ووفقاً لقانون الطبيعة، فإنّ أيّ مهمّة كبيرة تتطلب دائماً دعم المجتمع بكلّ أطيافه. فمن غير المشاركة الجماعيّة، لا يمكن لأحد أن يحقق أيّ انتصارات كبيرة. وهذا يمكن أن يتحقق فقط في جوّ سلميّ. ويعدّ التعاون المتبادل في أجواء العنف شيئاً مستحيلاً، ففي مثل هذه الأجواء يميل الناس إلى أن يكونوا غير متوازنين نفسياً. فكيف يمكن للتعاون المتبادل أن يصبح ممكناً في مثل هذه البيئّة؟

يكمن أحد شُرور العنف في أنّه لا يمكن تحقيق أيّ تنمية مستدامة في جوّ الشرّ الذي يوجده؛ فأيّ مهمّة كبيرة للتقدّم تصبح موجهة نحو تحقيق النتائج فقط بعد التخطيط والعمل على المدى البعيد، وهذا لا يمكن إنجازه إلا في بيئة سلميّة، أمّا في أجواء العنف، فإنّ مثل هذه الخطط تتعرّض لنكسات مراراً وتكراراً من غير إحراز أيّ تقدّم؛ فبحجة قتل العدو، تتلقى عمليّة التقدّم البشريّ ضربة قاضية.

إنَّ الأثر الأكثر سوءاً لاستخدام العنف هو أنك لا تتلقَى شيئاً في المقابل، حتّى إنك قد تهدر المكاسب السابقة. وبذا، فإنَّ أيَّ انتصار تحقّقه عن طريق اتّباع وسائل العنف هو في الواقع هزيمة.

ما العنف؟ إنّه الخيار الخطأ الذي يتّخذه من يعاني الشعور بالحرمان؛ فأيّ مجموعة، أعلى حقّ كانت أم على باطل، قد تعاني هذا الشعور، وليس هناك سوى طريقة واحدة مفيدة للتخلّص من ذلك، لن يكون هذا إلّا بالوسائل السلمية. إنَّ الطريقة العنيفة طريقة قاتلة إلى الحد الذي لا يجعلها خياراً لأحد بتاتاً. والعنف، من وجهة نظر النتيجة، لا يضيف إلا شعوراً بالحرمان، بدلاً من وضع حدّ لذلك؛ فهو ليس إلا انفجاراً لشخص استُفزّ؛ وبذا، فإنَّ العنف لا يستطيع تقديم أيّ حلّ إيجابي لأيّ مشكلة.

النصر؛ هزيمة أيضاً

شَنَّ الملك بيروس؛ أحد ملوك اليونان في القرن الثالث قبل الميلاد، حرباً ضروساً على الرومان، وحقق نصراً ساحقاً في النهاية، لكنّه كان انتصاراً مكلفاً جداً على الجيش الرومانيّ.

دُمّرت جيوشه في هذه المعركة الطويلة، ودُمّر اقتصاد بلاده كلياً. أما في نظر بيروس الملك فقد كان هذا انتصاراً في الظاهر، ولكنّ النتيجة لم تكن غير الهزيمة؛ فلقد كانت نجاحاته العسكريّة المكلفة هي التي أنشأت المفهوم العصريّ الحالي (انتصار باهظ الثمن).

عندما ننظر إلى تاريخ الحروب المختلفة، فلن يكون من المبالغة القول: إنَّ معظم الانتصارات في طبيعتها كانت باهظة الثمن؛ فعلى كلّ منتصر أن يعاني

نوعين من الخسائر: الأولى، التضحية بالحياة والثروة والموارد، والآخر: فقدان الحبّ والاحترام من الطرف المهزوم. ولهذا، فلا يمكن لأيّ منتصر تجنّب معاناة هذه الخسائر. والفرق الوحيد بين منتصر وآخر هو أنّه في حين أنّ بعض المنتصرين يعانون الخسائر عاجلاً، فإنّ بعضهم الآخر يعانيها في وقت لاحق، ومسألة الخسارة هذه لا تتعلّق إلاّ بنهج العنف. إنّ نهجاً سلمياً سوف يؤدّي تماماً إلى نتيجة مختلفة، فلو اتّبعتنا الطرائق السلمية، فإنّ النصر وحده يكون النتيجة، إذ ليس هناك في هذه الحالة مجال للهزيمة. وحتى لو قاد الطريق السلمي ظاهرياً إلى هزيمة، فإنّ المحصلة النهائية ستكون انتصاراً؛ لأنّ الإنسان قد يخسر حرباً بالطريقة السلمية، لكنه لا يخسر الفرص. التي يستطيع، عن طريق استغلالها جيّداً بدء حياته من جديد وتحقيق النجاح.

انتهى عهد الحروب

كانت المواجهات العسكريّة في العصور القديمة منها والوسطى تجري عن طريق التحام الجنود والاشتباك بالسيوف وجهاً لوجه، أمّا في العصر الحديث فإنّ أسلحة معقّدة ومتطوّرة جدّاً تستخدم، مثل الصواريخ النوويّة. والفرق الأساسي بين الزميين هو في حجم المذبحة في كلّ حالة على حدة؛ فالضرب بالسيوف قد يتسبّب في قطع عدد قليل فقط من رؤوس المقاتلين، لكنّ العدد في العصر الذريّ تغيّر تماماً؛ فالحرب تعني دماراً شاملاً في الوقت الراهن؛ فالقنبلة التي تستهدف العدو تكون مدّمة للمستخدم أيضاً. وبمواجهة هذه الحقائق الصعبة، علينا أن نسلّم بأنّ الحرب قد أصبحت ممارسة عقيمة؛ فهي الآن مظهر من مظاهر الجنون، بدلاً من أنّ تكون إجراءً محسوباً لتحقيق الهدف المرجوّ. وبعد ظهور الأسلحة النوويّة، أصبحت الحرب أمراً لا بدّ من

نُبذَه والتخَلَّى عنه؛ فعندما نرى أنَّ اللجوء إلى الحرب لا يظهر أيَّ نتائج إيجابية، فإنَّ سُنَّها بعد ذلك، ناهيك عن أنها خطوة غير حكيمة، ليس إلا ضرباً من الجنون.

هناك من يعتقد أنَّ إرساء السَّلام يتطلَّب حكومة عالمية، وهذا يتطلَّب قوَّة شرطة مسلَّحة وجيشاً ليسود السَّلام في أنحاء العالم. لكنَّ مفهوم الحكومة العالميَّة هذا غير عمليٍّ؛ لأنَّه لن يخدم الهدف إلا على نحو محدود جدًّا. وبذا، فإنَّ مخطط الحكومة العالميَّة لإحلال السَّلام هو أبعد ما يكون عن المثاليَّة.

دعونا نفترض أنَّ مثل هذه الحكومة العالميَّة قد دخلت حيِّز الوجود، فحينئذٍ ستكون قادرة على إنشاء السَّلام على مستوى الإدارة فقط. وبكلمات أخرى، فإنَّ هذه الحكومة العالميَّة المتوقعة لن تقدِّم حتى في أفضل حالاتها إلا سلاماً اجتماعياً، ولكنَّ الأكثر أهميَّة من هذا هو السَّلام العقلي، الذي لن تحقِّقه أيُّ حكومة عالميَّة.

إنَّ السَّلام على صورة الاستقرار الاجتماعيِّ، كما تنفَّذه الحكومات القائمة، كان سائداً في ممالك العصور القديمة. لكنَّ النتائج المرجوَّة لم تتحقَّق مطلقاً. والإمبراطوريَّة الرومانيَّة تقدِّم مثلاً على ذلك، فخلال مدَّة حكمها التي دامت أكثر من ألف سنة، نشرت السَّلام في نطاق واسع في الكرة الأرضيَّة. وكانت هذه الحالة تُعرف باسم السلام الروماني. ولكن، على الرغم من إحلال السَّلام عبر هذه المدَّة الطويلة من الوقت، لم يكن هناك أيُّ تقدِّم علميٍّ أو فكريٍّ.

وهذا يدلُّ على أنَّه، على الرغم من الرِّغبة في السَّلام الاجتماعيِّ، فإنَّ هذا سيكون مفيداً للتقدم البشري وعلى نحو جزئيٍّ فقط. إنَّ العمليَّة الحقيقيَّة

للتقدّم البشريّ لن تتمّ إلا عندما يكون لدى الأفراد الذين يشكّلون المجتمع القدرة على التفكير السلميّ. وإضافة إلى المظهر الخارجي، فمن الضروريّ أن يكون لدى الناس سلام داخليّ لتتقدّم البشريّة، بحيث لا يعيشون حياة مليئة بالتوتر غير الضروريّ، والإجهاد، والتناقضات. إنّ الشرط الأكثر أهميةً للتقدّم البشريّ هو عمليّة التفكير، فحالما ابتدأت، فإن عليها ألا تتحرف عن الطريق مواجهة العقبات. وهذا ضروريّ جدًّا لتطوّر الشخصيّة؛ فهذه الطريقة فقط يمكن للفرد تحقيق أعلى مستوى روحاني وفكري.

إنّ السّلام بلا شكّ، يُعدّ شرطًا أساسيًا للتقدّم البشريّ. وهو، في الواقع، أساس هذا التقدّم كلّ. وإذا شكّل السلمانيّ الاجتماعيّ والسياسيّ 50% من هذا الأساس، فإنّ السلامين العقليّ والروحانيّ سيضملمان الـ 50% الأخرى. إن إرساء السّلام على الجبهات الوطنيّة والدوليّة يبدو، عمليًّا، أمرًا صعبًا. وربما لا يمكن تحقيقه البتّة بالمعنى المثالي. ولكن في الحالات جميعها، فإنّ سلام العقل أمر يمكن تحقيقه على وجه اليقين. أمّا السّلام الخارجيّ، فمن الضروريّ للجميع أن يتعاونوا من أجل المحافظة عليه، لكن تحقق سلام العقل الداخلي لا يحتاج إلا إلى التقليل من التعاون الخارجي أو قد لا يحتاجه إطلاقًا بالفرد وبقراره الشخصيّ، يمكنه تحقيق مثل هذا السّلام، حتى لو أصبح كلّ من حوله ضدّ الفكرة. إنّ هذه المزية التي يمتلكها الفرد هي نعمة كبيرة من دون أدنى شكّ، وفي الحقيقة إنّها نعمة لا تضاهيها أيّ نعمة.

بيان للسّلام

إنّ السّلام هو الدين الوحيد لكلّ من الإنسان والكون؛ فالأشياء الحسنة جميعها ممكنة في بيئة سلميّة، في حين لا يمكننا تحقيق أيّ شيء ذي طابع

إيجابيّ في غياب السّلام، سواء أفراداً كُنّا أم مجتمعات. وينطبق الأمر نفسه على الصعيدين؛ الوطني والدوليّ.

ما السّلام؟

لقد عرّف العلماء السّلام بأنّه: (غياب الحرب)، وهذا التعريف صحيح بلا نقاش؛ فالسّلام في الواقع يعني عدم وجود حالة حرب أو عنف، ومع ذلك، فإنّ بعض الناس يعتقدون أنّ هذا التعريف ليس كافياً؛ فهم يقولون: إنّ السّلام يجب أن ترافقه العدالة، وإنّ السّلام بلا عدالة ليس سلاماً. لكنّ وضع مثل هذا الشرط لتحقيق السّلام يُعدّ أمراً غير عمليّ؛ لأنّ السّلام لا يحقّق العدالة من تلقاء نفسه، ما يعني أنّ العدالة ليست بالضرورة عنصراً من عناصر السّلام. فما يفعله السّلام في الواقع، هو إتاحة الفرص وتهيئة الظروف المواتية التي تمكّننا من السعي إلى تحقيق العدالة وغيرها من الغايات البناءة. إنّ السّلام مرغوب فيه لأجل السّلام نفسه، وكلّ شيء آخر يأتي بعد السّلام، وليس جنباً إلى جنب معه.

إنّ سياسة السّلام تقدم دائماً بدور (قنبلة) للسّلام، بمعنى أنّها تقهر العدو من غير أيّ سفك للدماء. إنّ التاريخ يدلّ على أنّ قنبلة السّلام أثبتت دائماً أنّها أقوى من قنبلة العنف؛ (قنبلة) السّلام تعني الحياة، وقنبلة العنف تعني الموت. إضافة إلى أنّ (قنبلة) السّلام تقود إلى العمران والبناء، في حين أنّ قنبلة العنف تؤدي إلى الدمار. وبالمثل، فإنّ (قنبلة) السّلام تجلب التقدّم، أما قنبلة العنف فتجلب الفناء. وإذا كان السّلام يعزّز الإبداع، فإنّ العنف يأتي بالعكس تماماً. وفي الوقت الذي تستند فيه قوّة (قنبلة) السّلام إلى الحبّ، فإنّ قنبلة العنف تستند إلى الكراهية.

وفي هذا السياق، نجد مثلاً مثيراً للاهتمام بالنهج السلمي في الهند. لقد ابتدأ كفاح الهند من أجل الحرّية عام 1857م. ولكن، بعد أكثر من ستين عاماً من التضحية، ظلّ الهدف السياسي المنشود حلماً بعيد المنال. ثمّ عام 1920م، ظهر غاندي قائداً لكفاح الحرّية، متّخذاً نهجاً مختلفاً تماماً؛ فقد تخلّى عن أسلوب العنف، واختار مسار العمل السلمي من أجل حركة النضال في سبيل تحقيق الحرية.

وقد أخذت الأمور منعطفاً إعجازياً بعد ذلك، حيث أصبحت الإمبراطورية البريطانية مشلولة؛ لأن غاندي حرم الإنجليز من أيّ مسوِّغ لاستخدام العنف، والحكاية الآتية خيرُ مثال على ذلك: عندما أطلق غاندي حركة الحرّية في الهند عن طريق اتّباع الوسائل السلمية بدلاً من اللجوء إلى العنف، أرسل ضابط بريطانيّ برقية إلى وزارته جاء فيها:

(أرجو أن تبرقوا لنا بتعليمات كيفية قتل نمر بأسلوب غير عنيف).

لذلك، فإنّ النجاح الذي لم يكن في متناول اليد، حتى بعد صراع طويل وعنيف، قد تحقق بطريقة سلمية في مدّة قصيرة من الزمن.

السّلام نظام كامل في قواعد السلوك

بدءاً للعنف والسّلام، على حدّ سواء، مدلولات واسعة؛ فالعنف يشمل كلّ شيء بدءاً من الكراهية، وصولاً إلى الحرب. وينطبق الشيء نفسه على السّلام، الذي يتضمّن كلّ شيء بدءاً من التسامح ووصولاً إلى الحبّ. إنّ كلّاً من العنف والسّلام نتائج للتفكير الإنسانيّ، الذين يتورّطون في أعمال العنف هم أسوأ الناس في هذا العالم، في حين أنّ الذين يختارون السلوك السلمي

الفصل الخامس: معارضة سُنَّة الخلق

هم الأفضل. إنَّ السَّلام يعني الحياة الطبيعيَّة التي توفر هذه الفرص كُلِّها في بيئةٍ صحيَّة. وينبغي أن تسود الحالة الطبيعيَّة، حيث يمكن للناس العيش والعمل من غير أيِّ عائقٍ خارجيِّ.

أضف إلى هذا أنَّ العنف يغلق الأبواب أمام الأعمال الإيجابيَّة، في حين أنَّ السَّلام يفتح الأبواب لها، فيهيئُ جوًّا من التعايش الإيجابيِّ للفرد، والمجتمع والأمة عامة. إنَّ أنواع الإنجازات جميعها تكون ممكنة في بيئة من السَّلام؛ فإذا كانت مواقف العنف تعرقل تلك الفرص، فإنَّ السَّلام يساعدها على الازدهار؛ حيث تُرعى قدرات الإنسان الإبداعية وتُطوَّر.

وبما أنَّ السَّلام نعمة للمجتمع البشريِّ، فإنَّ العنف لعنة. فالسَّلام مصدر قوة، والعنف هو العائق. السَّلام حبٌّ، والعنف كراهية، ولما كان السَّلام هو المحبَّة، فإنَّ العنف هو العداة. وفي الوقت الذي يقرب فيه السَّلام بين الناس، فإنَّ العنف يفرِّقهم، والسَّلام يعزِّز مستوى عاليًّا للثقافة البشريَّة، ويعمل على ازدهارها، في حين أنَّ العنف يعزِّز ثقافة الغاب، والسَّلام يرفع الإنسانيَّة إلى مستوى الوجود الاجتماعيِّ المتحضَّر، في حين يقود العنف إلى الانزلاق صوب دركات الهمجيَّة، إضافةً إلى أنَّ السَّلام يعزِّز الحياة، أما العنف فنذير شؤم؛ موت ودمار، فضلاً على أنَّ السَّلام يبرز عناصر الخير في المجتمع إلى الصِّدرة، في حين يفعل العنف عكس هذا تماماً.

السَّلام يحوِّل الرديء إلى حسن

وَفَقًّا للطبيب النفسيِّ الألمانيِّ؛ ألفريد أدلر، فإنَّ البشر يمتلكون مزية فريدة من نوعها، هي (قدرتهم على تحويل السالب إلى موجب). ما الذي يمكن الإنسان من أداء هذا العمل الفذِّ غير العاديِّ؟ إنَّ الجواب الوحيد هو أنَّ ذلك

يتحقّق من خلال السّلام؛ فدماع الإنسان كنز للقوّة غير المحدودة، فإذا فقد الإنسان طمأنينة النفس وقت الأزمة، فإنّه لن يستفيد فيها من قدرته العقلية بطريقة إيجابية. إنّ التفكير السلبيّ عقبة في طريق التطوّر البشري، في حين أنّ التفكير الإيجابي يُعدّ مانحاً للحياة؛ كونه يحفّز القدرات البشريّة. ولذلك، حين يتمكّن الفرد أو الأمة من المحافظة على السّلام في كلّ الحالات، فإنّ كثيرًا من الإمكانيات تفتح أمامه، وهذا يحدث عندما نتمكّن من تحويل السالب إلى موجب.

الطريق إلى تحقيق السّلام

إنّ السّلام ضروريّ للحصول على طريقة فضلى للعيش؛ سلام العقل، والسّلام في الأسر، والسّلام في الطبيعة. واليوم في هذا العالم التقني الحديث، فإنّ الإنسان قد تمكّن من الوصول إلى كلّ ما يريد. ومع ذلك، وفي غياب السّلام، فقد أصبح كلّ شيء بلا مغزى. إنّ المطلوب لتحقيق توازن هو الحبّ، والرّحمة، والتسامح، والصبر، وروح التعايش.

كيف يمكن أن نحقق السّلام؟ إنّ الصيغة بسيطة جدًّا. اقتنع بما تيسّر لك من غير أن تفتصب شيئًا من الآخرين، ولبّ حاجاتك الذاتية من غير حرمان الآخرين ما هو لهم، وأشبع رغباتك من غير إحباط الآخرين، وحقّق طموحاتك من غير إنكار حقّ الآخرين في أن يقوموا بالمثل تحقيقًا لرغباتهم وطموحاتهم. وباختصار، حلّ مشكلاتك الشخصية من غير افتعال مشكلات لمن هم حولك. إنّ التعايش السلميّ هو السبيل الوحيد للوجود في هذا العالم.

ومع ذلك، فالحياة السليمة لا يمكن تحقيقها إلا عندما يدرك البشر حدودهم ويلتزمون بها. ووفقًا للمشيئة الإلهية، فإنّك تستطيع أن تأخذ من

الفصل الخامس: معارضة سُنَّة الخلق

العالم كلُّ ما ترضي به حاجتك، لا جشعك. فيمكنك المتاجرة مع الآخرين، لا استغلالهم. ويمكنك أيضاً تعزيز فرديتك الشخصية، ولكن ليس على حساب الأسرة والمجتمع. يمكنك أن تحيا حياتك اليومية بالمحافظة على التقاليد الاجتماعيّة وليس تدميرها، ولك الحرية الكاملة لتعيش حياتك الخاصة، ولكن مع الاهتمام ببقية أفراد المجتمع لا تجاهلهم، ويمكنك استخدام الموارد لمصلحة الإنسانية، ولكن ليس من أجل تدميرها، وأيضاً الاستفادة من موارد الطبيعة لمنفعة البشرية، لا من أجل تدميرها، إضافة إلى أنّ لك الحرية في استخدام الوسائل السلمية، لكنك لست مخوّلاً باللجوء إلى العنف. لذا، فإنّ لك الحرية في استخدام موارد الطبيعة، ولكن بالمحافظة على توازنها، إضافة إلى أنّ لك الحرية في استخدام الطاقة النووية لأغراض سلمية، لا لبناء أسلحة دمار شامل، ولك الحرية أيضاً لتغذية مشاعر المودّة والرحمة، لا لتفصح المجال للكراهية والتحيّز، فأنت حرّ في تلبية حاجاتك ورغباتك الجسدية، ولكن ليس بقتل روحك من الناحية الروحانية. وباختصار، فإنّ لديك الحرية لتستمتع بالحياة من خلال التشارك مع الآخرين، لا بالقضاء عليهم.

ثمن السّلام

لا نستطيع الحصول على أيّ شيء في هذا العالم من غير دفع ثمنه؛ فكلّ شيء ثمن، وهذا ينطبق تحديداً على السّلام؛ فإذا كنّا نريد السّلام فعليّنا أن نكون على استعداد لدفع ثمنه أو نصبح محرومين منه. ولكن، ما ثمن السّلام؟ إنه التسامح؛ فنحن نعيش في عالم من الاختلافات التي لا يمكن القضاء عليها، ولذلك ليس لدينا سوى خيارين: التسامح أو التعصّب، ففي

حين أنّ التعصّب يقود إلى العنف، فإنّ التسامح يحقق السّلام، فحيثما كان التسامح كان السّلام، وحيثما كان التعصّب كانت الحروب وأعمال العنف. وهذه هي الصيغة العالميّة الوحيدة للتسامح من أجل السّلام، وهذه الصيغة نفسها يمكن تطبيقها بنجاح في الحياة العائليّة والاجتماعيّة، وكذلك على المستوى الدوليّ. إنّ السّلام يتطلب منا تعزيز ثقافة التسامح؛ لأنّ التعصّب لا يؤدّي إلا إلى الحرب.

الطبيعة نموذج للسّلام

إنّ السبب الجذريّ لمعظم مشكلاتنا في العالم الحاليّ يمكن أن يعزى إلى الانحراف عن نموذج المنهج السلميّ للطبيعة، الذي هو أفضل نهج نتّبعه؛ فالمعضلات جميعها التي نواجهها اليوم تنشأ لأننا لم نتّبع مثال الطبيعة.

فالنجوم والكواكب في حركة مستمرة في مداراتها، لكنّها لا تتصادم مع بعضها، وهذا يظهر للإنسان كيفيّة المُضيّ قُدماً من غير الصراع مع الآخرين. والشمس أيضاً نموذج ممتاز، فهي ترينا كيف يجب أن نعطي الحياة للآخرين من غير أيّ تمييز بينهم، أيضاً، الشجرة مثال ساطع للإنسان، فهي تزوّدنا بالأكسجين الصحيّ والمفيد مقابل حصولها على غاز ثاني أكسيد الكربون الضارّ. وانظر إلى الورود كيف تتشرعبقها في كلّ مكان، من غير انتظار المقابل على فعل ذلك، والتبع المتدفق يروي الحقول من غير توقع أيّ شيء في المقابل. وخلاصة الأمر أنه من غير غرس قيم الإيثار هذه بين بني البشر، فإنه من غير الممكن وجود حياة ذات معنى على الأرض.

وباختصار، فإنَّ الإيجابية تسود في عموم الطبيعة، والسلبية لا وجود لها في العالم الطبيعيّ. وهذا يعلّمنا درسًا هو أنَّ استجابتنا يجب أن تظلَّ إيجابيةً في الأوقات جميعها، حتى في الحالات السلبية.

عالم الطبيعة الجميل

لا تقتصر العيش الإيجابي، في هذا العالم، على السلوك الأخلاقيّ فقط؛ وحرى بنا أن نتبع مسارًا إيجابيًا في الأوقات كلّها والحالات جميعها؛ ففي هذا الكون الفسيح، لا يوجد إلا كرتنا الأرضية الصغيرة؛ حيث يمكن للبشر أن يعيشوا. وحتى الآن، لم نكتشف أيّ بقعة أخرى في هذا الكون تحوي أنظمة داعمة للحياة. ولذلك، فإنَّ المحافظة على الطبيعة تُعدُّ مرادفًا للمحافظة على الحياة، في حين أن تدميرها سوف يؤدي إلى الانقراض الكليّ، لذا فإنَّ الانخراط في التعايش الإيجابي باستمرار يسهم في إنقاذ الحياة، في حين أن الفشل في القيام بذلك هو وسيلة مؤكّدة للانتحار.

هذا العالم الجميل الذي خلقه الله يمضي في طريقه إلى التدمير على يد الإنسان.

إنَّ العنف واسع النطاق، والاضطرابات البيئية، وظاهرة الاحتباس الحراريّ أصبحت جميعها خطرًا أكبر من خطر حرب عالمية ثالثة. وفي الواقع، فإنّها تبدو كما لو أنَّ الحرب العالمية الثالثة قد داهمتنا فعلاً، وهذا هو أكبر تهديد نواجهه هذه الأيام. ولهذا، أصبح لزاماً علينا أن نعمل بإخلاص واتحاد؛ لإنقاذ الطبيعة لمصلحة البشرية جمعاء.

السّلاح النوويّ، من أجل ماذا؟

إنّ القنابل النوويّة والأجهزة التدميريّة الأخرى تُعدّ ضدّ المشيئة الإلهيّة تماماً السائدة في عالم الطبيعة الجميل. إذن، لماذا يجب أن يكون هناك، وبعد ذلك، هذا التخزين الحاليّ للأسلحة النوويّة، الذي يُعدّ أعظم تهديد، ليس فقط للسّلام، وإنما أيضاً لبقاء الجنس البشريّ؟

هنا ينبغي التأكيد على أنّ الأسلحة النوويّة غير صالحة للاستعمال؛ فسلح دمار شامل، كالقنبلة الذريّة مثلاً، لا يمكن استخدامه إلا مرّة واحدة فقط. لذلك، فإنّ هيروشيما وناجازاكي قد مثلتا نقطة توقف كاملة، لا وقفة مرحلية. ثمّ لماذا تحاول بعض الدول الحصول على مزيد ومزيد من القنابل النوويّة؟ الجواب: لأنّها تريد المحافظة على وضعها كقوى نوويّة، مع أنّ هناك بديلاً أفضل بكثير من امتلاكهم القوّة النوويّة، إنه تدمير القنابل النوويّة جميعها، فمثل هذا الفعل من شأنه أن يؤديّ إلى (انفجار) سلميّ، وأيّ شخص يتجرأ على القيام بذلك سيظهر كأنه الفائز الروحانيّ في القوّة الأخلاقيّة العظمى، على عكس المتنافسين في السباق النوويّ؛ حيث قد لا يكون هناك أيّ فائز.

وممّا لا شك فيه أنّ كونك أيّ دولة القوّة الأخلاقيّة العظمى يجعل تحلّق آلاف الأميال أعلى ممّن تُعدّ نفسها قوّة نوويّة عظمى. ومثل هذه الخطوة الثوريّة لا يمكن اتخاذها على أساس ثنائيّ الجانب، فمن الممكن تطبيقتها على أساس أحادي الجانب. إنّ عمليّة نزع السلاح النوويّ ليست مجرد فعل تدمير للأسلحة النوويّة؛ فنزع السلاح النوويّ، في الواقع، هو تحويل (قنبلة العنف) إلى (قنبلة السّلام)، وهذا يُحدث انفجاراً سلميّاً. وأيّ دولة تثبت بأنّها جريئة بما يكفي لتغتتم هذه المبادرة السلميّة، ستخسر ظاهريّاً وضعها

كقوة نوويّة، ولكنها في الوقت نفسه ستكسب أوضاعاً أعلى شأنًا وقوّة، هي القوى الأخلاقيّة والروحانيّة العظمى. فمثل هذه القوة فقط يمكنها تلبية المطب الملح، وهو بدء عمليّة السّلام. إن انفجار (السّلام) هذا يستطيع تحويل هذا العالم الفارق بالعنف إلى عالم يسوده السّلام.

السّلام سلوك إيجابيّ

السّلام هو نتاج موقف عقليّ إيجابيّ، في حين أنّ العنف هو نتيجة تفكير السلبي. إنّ السّلام هو الحالة الطبيعيّة للمجتمع، أمّا العنف فهو حالة غير طبيعيّة، والسّلام يتماشى وُقفاً لسُنّة الطبيعة بقدر ما يكون العنف ضدّها؛ فعندما تسود الظروف السلميّة في المجتمع فإنّ الأنشطة جميعها تحدث بأشكالها المناسبة، ولكنّ إذا أُخلّ بأجواء السّلام، فإنّ المسيرة الطبيعيّة للمجتمع ستتعلّط، وهذا القانون ينطبق على الإنسان، وكذلك على الكون كلّهُ؛ فوُقفاً لسُنّة الطبيعة، فإنّ السّلام هو السرّ الوحيد لسير الأمور بسلاسة وانتظام في المجتمع البشريّ، وكذلك في بقية الكون. ولذلك، فإنّ السّلام شرط أساسيّ للإنسان، وهذا يستدعي المحافظة عليه في الحالات جميعها؛ فمن غير السّلام لا يمكن أن تكون هناك تنمية أو تقدّم، ولا يوجد أيّ عذر يبرّر على الإطلاق استخدام العنف، سواء على المستوى الفرديّ أو الوطنيّ. وبغضّ النظر عن الظروف المحيطة، فإنّنا لا نستطيع الاستغناء عن أجواء السّلام، لذا يجب علينا المحافظة على السّلام من جانب واحد؛ لأنّه ما من شيء نرغب في تحقيقه قد يتّم من غير السّلام.

إنّنا إذا فشلنا في تحقيق السّلام، فإنّ علينا أن نواجه الدمار في كلّ ميدان من ميادين الحياة، فالخيار أمامنا ليس بين السلم واللاسلم، ولكنّه

بين السّلام والإبادة. وعلى هذا، فمن غير سلام لا يوجد أمل لبقاء الجنس البشري.

الراحة الروحانيّة

إنّ أكثر ما يزعج سنّة الطبيعة السلميّة يعزى أساسًا إلى حقيقة أنّ الناس أصبحوا ماديين على نحو مضطرب، وهذا هو التفكير الذي يؤدي إلى استغلال الطبيعة، ممّا يؤدي إلى اضطراب في سنّة الطبيعة السلميّة هذه. فإذا اختار الناس طريق الاعتدال فإنّهم سرعان ما سيكتشفون أنّهم إذا كانوا مرتاحين مادياً في السابق، فإنّهم سيكونون مرتاحين روحانياً الآن. وما لا شكّ فيه أنّ الراحة الروحانيّة أفضل بكثير من الراحة الماديّة.

إنّ مرتكب العنف، سواء كان هتلر أو رجلاً عادياً، يعاني دائماً تأنيب الضمير، في حين أنّ صانع السّلام يستمدّ الارتياح الكبير من جهوده. وإذا كان للمرء أنّ يفكر في النتيجة النهائيّة، فلن ينغمس أحد أبداً في العنف. وينبغي للجميع أنّ يضعوا في حساباتهم أنّ السّلام يتفق مع البشريّة، في حين أنّ العنف يعني الانحدار إلى مستوى الحيوان.

السّلام حقّ الإنسان المطلق

إنّ ثورة السّلام هي نتيجة التفكير السلمي؛ فالعقول السلميّة تعمل لعالم يسوده السّلام، فقد ولد الإنسان في سلام، ويجب أن يموت في سلام. إنّ السّلام حقّ الإنسان منذ الولادة، وهو أعظم نعم الله على بني البشر.



الفصل السادس: السّلام في الطبيعة

إنّ دراسة الكون تظهر أنّ نظامه الممتدّ يستند كلياً إلى مبدأ السّلام؛ فهناك عدد لا يحصى من الأجرام السماويّة في أنحاء هذا الكون، في حركة دائمة من غير أيّ تصادم يحدث بينها. إن كل واحد منها يدور وبدقّة متناهية داخل مداره، من غير التعديّ على أيّ مدار آخر، وهذا هو السبب، في عدم حدوث أيّ اشتباك أو مواجهة في عالم الطبيعة.

إنّ ثقافة الكون هي ثقافة السّلام، وهي أمر مرغوب فيه للإنسان أيضاً. وعلى الإنسان أن يعتمد هذا المبدأ الشامل في حياته. وينبذه طريق المواجهة، يجب عليه أن يختار طريق السّلام.

وبسبب الالتزام بثقافة السّلام هذه، فإنّ الكون يسير منذ بلايين السنين من غير أيّ تصادم قد يعكّر صفو نظامه. وهذا يعني أنّ ثقافة العنف لو سادت بدلاً من ذلك، فسنجد أنّ مختلف مكّونات هذا الكون قد تصادمت وتدمرت، ولما أصبح الكون صالحاً للسكن منذ أمد بعيد.

إنّ الخالق الذي أوجد نظام هذا الكون قد خلق البشر أيضاً، وقد أراد للإنسان أن يختار ثقافة السّلام التي ترسخت في هذا الكون الفسيح. ومع ذلك، هناك فرق بين الإنسان والكون؛ فقد فرضت ثقافة السّلام هذه على الكون بقوى الطبيعة، لكنّ الإنسان مُنح حريّة العمل بنهج السّلام. ولذلك، ينبغي للبشر نشر هذه الثقافة بإرادة واعية وطواعيّة؛ كي يسود الانسجام حياتهم.

نظام الطبيعة

لقد وُضِعَ النظام في هذه الأرض، التي يقطنها الإنسان، منذ اللحظة الأولى لخلقها. وعليه، فقد أُعِدَّ كُلُّ شَيْءٍ وَفَقًا لَخَطَّةٍ فِي مصلحة البشريَّة. وهذا يعني أن أيَّ شَيْءٍ يقوم به الإنسان على هذه الأرض، ينبغي القيام به من غير أيِّ تغيير لسنَّة الطبيعة. فلو عبث الإنسان بها ولو بأدنى الدرجات، فإنَّ هذا سيؤدِّي إلى انهيار النظام الطبيعيِّ الموضوع من الخالق وَفَقًا لترتيب معيَّن. ونتيجة لذلك، سوف ينتشر الفساد في كلِّ مكان.

لقد حصلت في عالمنا أحداث لا تُعَدُّ ولا تُحصى، يحكمها قانون الطبيعة، مثلًا: استمرار دوران الأرض، وتلقِّي الضوء من الشمس، وهبوب الرياح، وبدء هطل الأمطار، وتدفُّق مياه الأنهار، ونموِّ النباتات والأشجار، وما إلى ذلك. إنَّ هذه العمليَّات جميعها من هذا النوع تستمرُّ ليلاً ونهاراً، والأمر المبهر هو كيف أنَّها تحدث بطريقة سلميَّة جدًّا، فلا وجود للعنف، ولا للصدام، ولا للمواجهة.

وكون هذه هي الطريقة الطبيعيَّة للإصلاح، فينبغي للبشر أن يتَّبَعُوا طريقة الطبيعة هذه، نابذين العنف والمواجهة.

ولا ينبغي لهم أن يتصرَّفوا كالفرد العنيف الذي يعتمد على أشياء، مثل السيوف والبنادق أو القنابل، ولكن ينبغي أن يستمدُّوا قوتهم من الصِّفات البشريَّة النبيلة، مثل الصِّبر والتحمُّل، وتجنُّب الصِّراع، والاستعداد للتكيف المتبادل، وما إلى ذلك. إنَّ هذه الإستراتيجيَّات من شخص محبِّ للسلام هي في توافق مع سرمديَّة وحتميَّة قوانين الطبيعة، الذين يعارضونها هم بالتأكيد

سيعملون على إيجاد اضطرابات كبيرة في كلّ مكان، ولن يكونوا قادرين على إنشاء نظام صالح.

قانون التحوّل

يحتاج جسم الإنسان إلى الدّم في نظامه للبقاء على قيد الحياة، ولكننا لا نستطيع تحصيل الدّم الجاهز في هذا العالم. لهذا، فإننا بحاجة إلى نظام يتحول فيه اللّادّم إلى الدّم، بعد المرور في عمليّة طبيعيّة معيّنة، ومن غير هذه العمليّة لن نتمكن من تأمين الدّم لأنفسنا.

مثلما أنّ الدّم ضروريّ لوجودنا الماديّ، فإنّ السّلام ضروريّ أيضاً لبقائنا الاجتماعيّ، ولكننا لا نستطيع العثور على سلام جاهز في هذا العالم، ولذلك فإنه ينبغي لنا أن نعمل على تطوير عمليّة تحوّل اللّإسلام إلى سلام. وعمليّة صنع السّلام هذه هي ما عبّر عنها يسوع المسيح قائلاً:

(أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله) (لوقا، 20:25)

هذا يعني أنّه من خلال تجنّب الصدام وجهاً لوجه في ظلّ ظروف غير مواتيّة، فإنّنا قد نكسب الوقت لتحقيق أهدافنا.

ويمكن التعبير عن هذه الصيغة في سياق السّلام كالآتي: تحمّل حالة اللّاسلم؛ حتى تتمكّن من الوصول إلى حالة السلم، وهذه هي الطريقة لتحويل اللّاسلام إلى سلام في هذا العالم، فما من طريق آخر غيره.

إنّ نظام الطّبيعة كله يعتمد على مبدأ التحويل، وكلّ شيء في عالمنا قد خضع في مرحلة ما لعمليّة تحويل. فالمياه قبل تحويلها كانت موجودة على

شكل غازين مختلفين؛ فوفقاً لقانون الطبيعة، فإنّ اللاماء قد حُوّل إلى ماء، وتطبق هذه العمليّة على الظواهر الأخرى جميعها في العالم.

دعونا ننظر في مثال آخر، ألا وهو الشجرة؛ إذ يستحيل أن نراها وقد وقفت أمامنا فجأة على شكلها المتطوّر الذي وصلت إليه؛ فهناك عمليّة الطبيعة، التي من خلالها تُحوّل البذرة مروراً بمراحل إلى شجرة. يمكننا أن نقول: إنّ هناك عمليّة في الطبيعة تحوّل اللاشجرة إلى شجرة، وبعدها فقط تقف الشجرة على الأرض مختالة بعظمة شكلها.

وبالمثل، فإنّ البقرة لا تعطي الحليب إلا بعد أن تتمّ عمليّة طبيعيّة للتحوّل داخلها. ويبدو الأمر كما لو أنّ البقرة مصنع للطبيعة، يحوّل اللاحليب إلى الحليب؛ هذا السائل المغذي.

وبطريقة مماثلة، فإنّ غذاء الإنسان الذي يحتاج إليه للحصول على قوّته لا يأتي إلى حيّز الوجود إلا إذا حُوّل غير الصالح للأكل إلى صالح للأكل في مصنع الطبيعة. لهذا، يحوّل الجهاز الهضمي للإنسان الصالح للأكل من هذه الموادّ إلى لحم ودم.

إنّ مسألة السّلام تندرج أيضاً في إطار هذا القانون العامّ للطبيعة؛ فالسّلام أمر حيويّ لوجودنا الاجتماعيّ، ولكن لا يمكننا العثور على سلام مُعدّ في هذا العالم. لذلك، وعلى المنوال نفسه، فإنّ السّلام لا يمكن الحصول عليه إلا من قبل أولئك الأفراد - أو المجتمع - الذين لديهم القدرة على تحويل اللاسلام إلى سلام. ويمكن أن نجد السّلام فقط إذا أظهرنا هذه المقدرة.

والآن، دعونا نرى كيف يمكن تحويل هذا اللاسلام إلى سلام، ويمكن تلخيص هذه العمليّة في إعطاء ردّ فعل إيجابيّ في حالات سلبية.

يعمل عالمنا على مبدأ المنافسة، وهذا هو السبب وراء عدم غياب التحديات والاستفزازات عن أي حالة؛ فلا يمكن لعالمنا أبداً أن يكون خالياً منها. إنّ العلاج الوحيد لذلك هو رفض الرضوخ للاستفزاز حتى في الحالات الاستفزازية. وعليه، فإنّ السّلام هو نتيجة لهذه الأخلاق أحادية الجانب.

لا يمكن أن نجد شيئاً جاهزاً في هذا العالم؛ فكلّ شيء لابدّ من خضوعه لعملية التحويل، وهذا هو السبب في أننا لا يمكن أبداً أن نجد السّلام الجاهز. هنا، يجب علينا أن نستجمع ما نملك من الحكمة لتحويل اللاسلام إلى سلام، وبذلك فقط نستطيع امتلاك السّلام. وتماماً كما ينطبق هذا المبدأ على حياة الفرد، فإنّه ينطبق أيضاً على المستويين: الوطني والدولي.



الفصل السابع: السّلام في الأديان المختلفة

تولي الأديان كلّها أهميّة كبيرة للسّلام؛ كونه يُعدُّ أكبر مصدر قلق للإنسان. وفي الواقع، فإنّ السّلام هو جوهر الأديان جميعها، والسبب هو أنّه لا يمكن أبداً تحقيق أيّ من أهداف الدين والوفاء بها من غير سلام. فأهداف كلّ دين، من حيث المبدأ، هي التنمية الروحانيّة للإنسان، وتحويل كلّ فرد إلى مواطن مسؤول. ولا يمكن لهذا النوع من التعليم والتدريب أن يتمّ من غير أجواء سلميّة.

هنا، ومن غير الدخول في تفاصيل كثيرة، أودّ أن أعرض بإيجاز تعاليم ديانات مختلفة في هذا الصدد. (وفي الختام، سأعرض مفهوم الإسلام للسّلام على نحو أكثر تفصيلاً؛ والسبب هو أنّ العنف في وقتنا الحاضر يقترن ذكره مع ذكر دين الإسلام. ويُعتقد على نطاق واسع أنّ الإسلام يسوِّغ العنف، في حين أنّه من خلال دراستي للموضوع، فإنّ هذا المفهوم يتعارض مع الحقائق الفعلية).

السّلام في الديانة اليهوديّة

يعود تاريخ اليهوديّة إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة. فوفقاً للتقاليد اليهوديّة، عندما غادر بنو إسرائيل مصرَ ووصلوا إلى صحراء سيناء، فإنّ الله أعطاهم الوصايا العشر الأساسيّة لتحكم بقاء حياتهم الاجتماعيّة، وإحدى هذه الوصايا كانت:

(لا تقتل) (سفر الخروج، 20:13)

وصية الكتاب المقدس هذه تحظر أنواع العنف جميعها، سواء أفردية كانت أم اجتماعية، وسواء أوجهًا كان العنف ضد مجتمع المرء نفسه أم ضد مجتمع آخر. ولقد أوحى الله تعالى هذا الأمر مباشرة إلى موسى عليه السلام. ووفقًا للتقاليد اليهودية، فإن هذه الوصية تدخل في حكم الأمر المطلق.

وهناك وصية أخرى في التوراة تستحق الذكر هنا في هذا الصدد؛ فهي تجسد التعليم الأخلاقي كما هو شائع في الأديان جميعها، على الرغم من التعبير عنها بطرائق مختلفة. وتتلخص هذه الوصية في كلمات التوراة التي جاءت على النحو الآتي:

«ما هو مكروه (أو مؤذ) لك، لا تفعله لأي إنسان آخر».

وفي سياق السلام، فإن هذه التعاليم أساسية جدًا، فمن الواضح أننا لن نجد أي شخص في هذا العالم يرغب في أن يكون ضحية للعنف؛ لأن العنف بغض للجميع. وفي ضوء هذا الواقع، فمن الضروري أن يمقت الإنسان أيضًا ارتكاب أعمال العنف ضد الآخرين، ولا يجب عليه أن يغمس في أعمال العنف ضد الآخرين تحت أي ظرف من الظروف. وما لا شك فيه أن هذه النصيحة عامة في تطبيقها؛ فهي ليست موجهة إلى فرد فقط، بل أيضًا إلى المجتمع كله. وبالتأكيد، ومثلما وُضِعَ معيار للسلوك الفردي، فقد وُضِعَ معيار للسلوك الاجتماعي أيضًا.

وبالرجوع إلى الآية سالفة الذكر من التوراة، فقد قال باحث يهودي، على نحو صحيح:

«هذه هي التوراة كاملة، والباقي ما هو إلا تعليق».

الفصل السابع: السلام في الأديان المختلفة

وفي التوراة، فإنَّ أشعيا، وهو نبيّ من بني إسرائيل، يصف عالمًا من العدالة، في هذا العالم المرغوب فيه بشدّة: «يجب على الناس تحويل سيوفهم إلى محاربتهم ورماحهم إلى مناجل قطاف. ولا يحقّ لأمة أن ترفع السيف ضدّ أمّة، وعليهم ألا يتعلّموا الحرب بعد ذلك» (إشعيا 2:4).

تبيّن هذه الآية من التوراة أنّه وفقًا للديانة اليهوديّة، فإنّ المجتمع الإنسانيّ الأمثل هو المجتمع الذي يدمّر فيه الناس أسلحتهم؛ حيث لا مجال للحرب، وحيث تُبنى الحياة على أساس من السّلام لا العنف.

وتفسّر هذه الآية من التوراة من قبل باحث يهوديّ كالآتي:

«لا يكفي أن نأخذ في الحسبان هذه الموعظة السلبية بعدم القتل، ولكن بتحويل الطاقة البشريّة والجهود المبذولة إلى أفعال سلميّة وبناءة».

وبالمثل، فإنّ هناك آية أخرى من التوراة تستحق الذكر؛ فهي تصف وصايا الله المباركة:

«على الذئب والحمل أن يرعيا معًا، وعلى الأسد أن يأكل التبن كالثور، والغبار يجب أن يكون غذاء الثعبان. ولا يجوز لهم أن يؤذوا أو يفسدوا في كامل جبلي المقدس» يقول الرّب. (أشعيا، 65:25)

يخبرنا هذا الاقتباس بلغة رمزيّة كيف يكون المجتمع المرغوب فيه من الله. إنّهُ مجتمع حيث يعيش الضعفاء والأقوياء جنبًا إلى جنب من غير الإضرار بمصالح بعضها، وحيث يتمتّع الإنسان بالحقوق نفسها التي يتمتّع فيها كبار الشخصيّات المهمّة. إنّهُ مجتمع يمكن للناس العيش فيه بسلام من غير الخوف من أذى غيرهم؛ حيث يجد الناس السلم في الآخرين لا العنف.

السّلام في الديانة المسيحيّة

وُلد يسوع المسيح عليه السّلام منذ ألفي عام في القدس (فلسطين). وربما يكون أتباعه اليوم أكثر من أتباع أيّ دين آخر.

إنّ تعاليم المسيح منصوص عليها في العهد الجديد . وهي تشير إلى أنّه قد شدّد كثيرًا على عبادة الله، وحبّ البشر، وخدمة الإنسانية، والتنمية الروحانيّة، والترفّع عن الماديّة، ومعاملة الآخرين بالحسنى، حتى لو لم يستجيبوا، لذا فهذه الفضائل كلها التي لا ترتبط بأيّ طريقة بالحرب والعنف تتبع من امتلاك مجموعة قيم عليا .

ويمكن غرس هذه القيم كلها في المجتمع عن طريق الإقناع، وليس عن طريق الإكراه.

إنّ تعاليم المسيح في العهد الجديد تخبرنا بوضوح أنّ السّلام كان مهمًّا في نظره، لدرجة أنّه استمتع بإحلال السّلام بأيّ ثمن. وفي إحدى خطبه، قال:

«طوبى لصانعي السّلام، لأنّهم أبناء الله يدعون». (5:9)

وهذا يدلّ وفقًا لتعاليم المسيح، على أنّ المهمة الأكثر مباركة هي في إحلال السّلام في العالم، والسّلام في حياة الأسرة، والسّلام في الحياة الاجتماعيّة، والسّلام في الحياة الوطنيّة، والسّلام في الحياة الدوليّة. ولعلّ قول المسيح هذا هو ربّما تحقيق لهذا العالم السلمي:

«ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض». (6:9)

الفصل السابع: السّلام في الأديان المختلفة

في هذا الاقتباس من العهد الجديد ، ما سمّي بملكوت الله، يمكن التفكير فيه أيضاً بأنه ملكوت السّلام.

إنّ تعاليم السيّد المسيح تولى أهميّة كبيرة للمحبّة وحسن السلوك، وقد أعرب عن هذا في أحد أقواله في الكتاب المقدس:

«لكني أقول لكم أيّها السّامعون: أحبّوا أعداءكم، وأحسنوا إلى مبغضيكم.»
(6:27)

وهذا يعني أنّه يجب أن تحبّ الجميع، حتى الأعداء، ويجب أن تتخذ موقفاً سلميّاً نحو الجميع، حتى مع أولئك الذين اختاروا الإيذاء الجسديّ. إنّ هذا السلوك الجيّد أحاديّ الجانب الذي أعرب عنه برمزيّة:

«من لطمك على هذا الخدّ فاترك له الآخر، ومن أخذ رداك فلا تمنعه أن يأخذ قميصك أيضاً. وكلّ من سألك فأعطه، ومن أخذ ما لك فلا تطالبه به.»
(30-29:6)

وهذا ليس تشجيعاً على أن تكون سلبياً. إنّهُ، وبلغة رمزيّة، درس في الأخلاق أحاديّة الجانب. إنّ هذه التعاليم يمكن التعبير عنها كالآتي: أحلّ السّلام بأيّ ثمن، لا تقابل العنف بالعنف. فبدلاً من ذلك، قابل العنف بممارسة التمرين أحاديّ الجانب في الصّبر، وتجنّب الصراع، حتى لا تعكّر صفو السّلام.

السّلام في الديانة الهندوسية

تستند الهندوسية إلى مبدأ اللاثباتيّة، معنى هذا أنّه في هذا العالم، فإنّ الخالق والخلق ليسا كيانيين مختلفين، بل هما بالأحرى الحقيقة نفسها تتجلّى في أشياء مختلفة وكائنات مختلفة في هذا العالم. ووفقاً لهذا المبدأ، فإنّ

الإنسان وأخاه الإنسان هما وحدة واحدة متشابهة، فليس هناك فرق بين الواحد والآخر.

وهذا المفهوم يعطي إحساساً بشعور المشاركة للكائنات الحيّة جميعها، وينفي مبدأ الآخر. وفي الواقع، فإنّ شعور الآخر يختفي ببساطة. وبهذا، فإنّ ارتكاب أعمال عنف أو عدوان ضدّ الآخرين، من حيثُ المبدأ، هو ارتكابها بحقّ النفس ذاتها. إنّ هذا المفهوم، هو مصدر فكر السّلام في الهندوسية.

ولقد سمّاه المؤرّخ البريطانيّ، أرنولد توينبي، مفهوم السّلام: (عِشْ ودع غيرك يعيش). وهذا يعني، أنّنا يجب أنْ نمنح السّلام للآخرين لنحصل عليه في المقابل منهم.

ولد ماهافير Mahavir الشخصية الرابعة والعشرون في تسلسل المرتبة الدينية الهندوسية (التناسخ) لعائلة هندوسية في الهند بعد تأسيس الهندوسية بألفين وخمسمئة سنة، وقد أرسى خمسة مبادئ للدين، وعلى الرغم من أنّ مصطلح (نبذ العنف) ربّما لم يكن موجوداً في ذلك الوقت في الكتب المقدسة لهندوسية القديمة، فإنّ أوّل هذه المبادئ وأهمّها كان (أهيمسا Ahimsa)، الذي يعني عدم الإصابة. وفقاً لهذا المبدأ، فإنّ العنف والعدوان من أيّ نوع هو أمر خطأ تماماً، ويمكن تلخيص هذا الاعتقاد في هذه الكلمات: قتل كلّ ذي إحساس خطيئة.

لقد اعترف الزعماء الدينيين الهندوس بـ (ماهافير) على أنه الشخصية الرابعة والعشرون في تسلسل المرتبة الدينية الهندوسية (التناسخ). وبهذه الطريقة، فإنّ مفهوم أهيمسا قد أصبح أيضاً جزءاً من الهندوسية. وفي القرن العشرين أيضاً، كان هناك المثال الآخر الكبير، وهو المهاتما غاندي،

المصلح الهندوسيّ ذو السمعة العالميّة، الذي فسّر كلمات (باغواد غيتا، أحد النصوص الدينية الهندوسية) في ضوء مبدأ عدم اللجوء إلى العنف، وأطلق حركة حرّية ملتزمة تماماً بهذا المبدأ.

وقد وضّحت الموسوعة البريطانية (1984) الدرجة التي كان فيها المهاتما غاندي من دعاة السّلام بالقول: «لقد كان غاندي أول من فسّر أهيمسا على نحو إيجابي تحت مظلة الالتزام الاجتماعي».

التسامح بصفته إحدى القواعد الأساسية في الديانة الهندوسية

إنّ مفهوم التسامح هذا يصل إلى الحدّ النهائي لتشجيع الاعتقاد بحقيقة الأديان جميعها. ووفقاً للنص المذكور أعلاه، فإنّ كلّ مسار دينيّ يؤدّي نحو الوجهة نفسها: الحقيقة. فعندما قال أحد شخصيات النص: (كلّ دين صحيح)، فقد كرّر بهذا الاعتقاد الهندوسيّ وعلى نحو صحيح. ففي الهندوسية يمكن إعطاء كلّ تقليد دينيّ اعترافاً متساوياً.

وقد أوردت موسوعة بريتانیکا تحت عنوان (الهندوسية):

«إنّ الهندوسية تتضمّن أشكال الاعتقاد والعبادة جميعها من حيث المبدأ، من غير فرض انتقاء أيّ منها أو استبعاده».

وبعبارة أخرى، فإنّ هذا المفهوم العامّ للتسامح يرشدنا إلى كيفية العيش في سلام مع الآخرين، وينبغي لنا ألاّ نتبنّى العنف تجاه أيّ شخص آخر.

وكما نعدّ أنفسنا على حقّ، فعلينا بالمقابل أن نعدّ الآخرين على حقّ أيضاً.

ومن حيثُ المبدأ، فإنَّ اللجوء إلى العنف تجاه أيّ مجموعة بشرية يُعدّ غير قانوني.

السلام في الديانة البوذية

تعدّ البوذية دين إلهاد، على خلاف الديانات الأخرى؛ فهي لا تغدّي الاعتقاد بوجود خالق بصفته مفهومًا مركزيًا. وبدلاً من ذلك، فإنّ النظام البوذيّ يستند إلى مجموعة من المبادئ الأخلاقية. ويمكن تسمية الأسس البوذية فلسفةً أخلاقيةً، أو طريقة أخلاقية للحياة.

لا يوجد توثيق تاريخي لحياة بوذا غوتام (سيدارت غوتام)، مؤسس البوذية، ولكن يُعتقد أنه وُلد في شمال الهند عام 560 قبل الميلاد. وعندما بلغ سنّ الرشد، رأى بعض مشاهد البؤس البشري. ولما كان شخصًا حساسًا، فقد بدأ يتأمّل في أسباب الألم والمعاناة، وكّرّس بعدئذ نفسه بهدف إنهاء الألم والمعاناة في الحياة البشرية.

وبعد مدّة طويلة من التأمّل والتفكير العميق، صاغ بعض المبادئ الأخلاقية. ولأن هدفه الرئيس في الحياة كان إنهاء البؤس البشريّ، فقد علّق أهمية قصوى على حقيقة أنه ينبغي للإنسان أن يحرّر نفسه من أنواع الرغبات كافة؛ لأنّ هذه الرغبات كافة هي التي تقود الإنسان إلى أنواع الشرور جميعها، بما في ذلك العنف. وقد كانت المبادئ التي وضعها لتحكم حياة الإنسان كما يأتي:

على الإنسان أن يتخلّى عن الرغبات جميعها، وأفكار الشهوة جميعها، والمرارة،

الفصل السابع: السّلام في الأديان المختلفة

والقسوة. وعليه ألا يضرّ كائنًا آخر، ويجب عليه أيضًا أن يمتنع عن أعمال القتل كلّها. ولا بدّ من أن يتولّى الإنسان منصبًا لينفع الآخرين ويدرأ الضرر عنهم.

فمن حيثُ المبدأ، ليس هناك أيّ مكان للعنف في البوذية، ولأنّ هدفَ البوذية في الأساس إصلاحُ الشخصية، فإنّ هذا لا يمكن أن يتحقّق إلا من خلال السعي بجد ضدّ رغبات النفس، بدلًا من ارتكاب العدوان ضدّ الآخرين. لذلك يصح القول: إنّ العنف شيء غريب على المعتقد البوذي. وفكريًا، فإنّه لا علاقة مباشرة للبوذية بالعنف.



الفصل الثامن، السّلام في الديانة الإسلاميّة

ما لا شكّ فيه أنّ القرآن الكريم كتاب للسلام، وليس كتاباً للحرب أو العنف. ويمكن الحكم على هذا من حقيقة أنّ آيات القرآن جميعها مرتبطة على نحو مباشر أو غير مباشر بالسّلام؛ فاستهلاكيّة القرآن هي:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

وقد تكرّرت هذه البسّملة في القرآن الكريم ما لا يقلّ عن 114 مرّة، وهذه إشارة إلى أنّ أعظم صفة للخالق الأسمى الذي أرسل هذا الكتاب هي الرّحمة. وفي الواقع، فإنّ موضوع هذا الكتاب المقدّس كلّهُ هو رحمة الله الشاملة.

فالجزء الأكبر من هذا الكتاب المقدّس يدعو إلى السّلام بقوّة، سواء على نحو مباشر أو غير مباشر، ومن آيات القرآن الكريم الكثيرة، نجد هناك أربعين آية تتعامل مع أوامر سنّ الحرب، في حالة الدّفاع عن النفس فقط، وهذا يشكّل ما هو أقل من 1%، ولنكون أكثر دقّة، فإنّ النسبة هي 0,6% فقط.

إنّ أولئك الذين يقبلون القرآن كتاباً لله، سيعدّون مؤمنين حقيقيين فقط عندما يتّبعون الأحكام الواردة فيه، ليصبحوا من محبّي السّلام بالمعنى الكامل للكلمة.

وعليهم ألا يشركوا أنفسهم في أيّ عمل عنف، وتحت أيّ ظرف من الظروف. ومن أجل إجراء دراسة هادفة لهذا الموضوع، لا بدّ لنا من التفريق بين الإسلام والمسلمين. فليس بالضرورة أن يكون عمل المسلم مستمداً من تعاليم الإسلام. وفي واقع الأمر، فإنّه يجب الحكم على ممارساته وفقاً

لمعايير الإسلام -وهي عقيدة- بدلاً من الحكم على الإسلام من خلال ممارسات المسلم. فأولئك الذين هجروا تعاليم الإسلام لا يمكنهم الادعاء بأنهم إسلاميون في سلوكهم، حتى لو كانوا يعدّون أنفسهم أبطال الإسلام. فلا يكون المسلمون مسلمين إلا عندما يتبعون التعاليم الأساسيّة لديانتهم.

السّلام من أسماء الله تعالى

لقد أورد القرآن أسماء الله الحسنی الكثيرة، التي كان من بينها اسمُ السّلام. إنّ الله يحبّ السّلام والأمن لدرجة أنّه اختار السّلام واحداً من أسمائه. وهذا يعني أنّ الله تعالى تجسّد للسّلام بنفسه.

وقد فسّر الخطابي هذه الآية بقوله:

«إنّ الله هو الكيان الذي يستمدّ الناس منه الأمن والأمان، الذي يأخذ الناس منه تجربة السلم لا العنف». (القرطبي، الجزء 18، ص 46)

وقد وضع الله المعايير العليا لتحقيقها؛ أي إنّهُ عندما يعتمد تعامل الله مع البشر على أساس السلم والأمن، فينبغي للإنسان بعد ذلك أيضاً التعامل مع غيره من البشر بطريقة مسالمة، لا قسوة فيها ولا عنف.

لا تطرف

ولقد صدر الأمر الآتي في الجزء الرابع من القرآن الكريم:

﴿لَا تَقْلُوبُوا فِي دِينِكُمْ﴾ النساء: 171.

ووردت النقطة نفسها في الحديث الشريف؛ حيث قال رسول الإسلام ﷺ:

«إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو». (النسائي، ابن ماجه، مسند أحمد)

إنّ الغلو يعني التطرّف والمبالغة. وطريق التطرّف هي طريق غير صحيحة. مهما كانت الظروف؛ لأنّها تعارض روح الديانة. وفي الواقع، فإنّ التعرّض للتطرّف يبلغ ذروته في أوقات الحرب والعنف. فأولئك الذين يعانون ميولاً متطرّفة يبقون غير راضين عن مسار الاعتدال؛ لأنّ هذا يجرفهم بعيداً عن المثاليّة. وهذا هو سبب انحدارهم نحو العنف بهذه السهولة، وهم على أتمّ الاستعداد وأكثر من أيّ وقت مضى لبدء العدائيّة تحت دعوى تحقيق أهدافهم.

ومن الجدير بالذكر أنّ الاعتدال، وهو نقيض التطرّف، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسّلام، فعندما يملك الناس فضيلة الاعتدال، فهم بالضرورة سيفكّرون وفقاً للسّلام، وسيتميّص نضالهم بالسلميّة. فأينما وُجد الاعتدال وُجد السّلام، والعكس صحيح.

وفي تناقض واضح مع هذا، فإنّ موقف المتطرّف سيؤدّي به قريباً جداً إلى المواجهة والعنف؛ فالتطرّف والعنف مترابطان بوضوح، وهذا هو السبب الذي عدّت فيه الديانة التطرّف شيئاً بغيضاً. ويمكن القول: إنّ العنف هو اسم آخر للتطرّف، وأنّ الاعتدال هو الامتناع عنه.

قتل نفس واحدة تقتل الناس جميعاً

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ ﴿المائدة: 32﴾

إنّ الجريمة فعل رهيب حقاً؛ فقتل الإنسان غير جائز إلا عندما لا يتوافر علاج آخر لدرء الخطر الذي يمثله على السلم الاجتماعي، وقتل النفس الواحدة بغير وجه حق كقتل الناس جميعاً، والفرق بينهما يكون في الدرجة لا في الطبيعة؛ فقتل نفس واحدة لا يقل بشاعة عن مقتل البشر جميعهم.

وقد يبدو مثل هذا القتل من غير جزاء مناسب مسألة بسيطة، لكنّ مثل هذا الفعل يحطّم تقاليد احترام الحياة كلّها.

والآية أعلاه من القرآن تؤكّد أهميّة السّلام والأمن في الإسلام؛ فإذا قُتل شخص ما من غير وجه حقّ فعلى الإسلام أن يطالب بتحرك المجتمع كلّهُ على نحو كبير في وجه هذه الجريمة.

وأن يعملوا على نحو متّحد لاستعادة حالة من السّلام والأمن، وينبغي أن تعامل على أنّها مسألة عظيمة الأهميّة، كما لو كانت البشريّة كلّها تتعرّض للهجوم.

إطفاء نار العنف

وقد جاء في القرآن الكريم ما يأتي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ ﴿المائدة: 64﴾.

إنّ هذه الآية من القرآن تدل على خطّة الوجود المخصوصة بخالق هذا العالم، وهي خطّة تقوم على مبدأ السّلام، وهذا يعني أنّه كلما قرّر أحد

جانبيّ المعارضة العمل على تأجيج نار حرب، فينبغي للآخر أن يحاول إخمادها باللجوء إلى إستراتيجية سلميّة لمنع العنف من الانتشار. ولا ينبغي أبداً أنه إذا ما انغمس جانب في أعمال العنف، كان على الآخر أن يحذو حذوه. فالطريقة الصحيحة والمرغوب فيها لتعيش حياتنا في هذا العالم ليس بمواجهة القنابل بمثلها، وإنما بنزع فتيلها وإبطال مفعولها. وينبغي أن يتمّ هذا في البداية. فإذا أردنا الرّوح الحقيقيّة للتعليم القرآنيّ الكريم، فعلينا إدراك أن التصدي للقنبلة بأخرى هو طريق الشيطان. وعلى العكس من ذلك، فإنّ الطريقة التي يؤيّدها الله هي في تحييد القنبلة.

من الطبيعيّ جداً لأيّ مجتمع ما أن يواجه بعض المواقف السيئة؛ فيستحيل على أيّ جماعة من البشر أن تكون قد خلت في حياتها تماماً فيما مضى من أحداث غير مرغوب فيها. وبناءً على ذلك، فإنّ الحلّ الفعليّ للمشكلة ليس في وضع حدّ للأحداث غير السارة في حدّ ذاتها، وإنما في الامتناع عن السماح بتفاقم الأمور، وهو ما يحدث إذا التقى حدثان من الأحداث غير السارة بعضهما مع بعض. ومرة أخرى، أودّ أن أوكد مجدداً أنّ القنابل لا ينبغي أن تُواجه بالقنابل، وبالامتناع عن العنف فإننا نستطيع أن نحدّ من انتشار الآثار المدمرة للاحتكاك الاجتماعيّ بوصفه حلاً وحيداً ممكناً.

الحرب للدّفاع

جاء في القرآن الكريم ما يأتي:

﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج: 39.

هذه وليست مجرد أوامر قرآنيّة موجهة للمؤمنين من المسلمين، بل بيان

لقانون دولي. لقد وضّحت الآية بوضوح أنّ الحرب جائزة فقط من أجل صدّ أيّ عدوان سافر، وهي تُشنّ هنا دفاعاً عن النفس. أمّا الأشكال الأخرى للحرب جميعها فتأتي تحت عنوان العدوان، ولا مكان شرعيّ للمعتدين في هذا العالم. فوقّفاً لهذه الآية، لا يوجد أيّ مبرّر لأيّ حرب أخرى غير الدفاعيّة، عندما يُضطرّ أحد إلى القيام بذلك.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم، فإنّ الحرب الدفاعيّة لا يمكن خوضها إلا بعد إعلانها رسمياً، ومن قبل حكومة شرعيّة. أمّا المنظمات غير الحكوميّة فلا تملك الحقّ في شنّ حرب تحت أيّ ذريعة كانت. وفي ظلّ هذه التعاليم، يمكننا أنّ نستنتج ووفقاً لقوانين الحرب المنصوص عليها في القرآن أنّ الحروب كلّها، باستثناء الحرب الدفاعيّة التي أصبحت لا مفرّ منها، غير مشروعة. ومثال ذلك: حرب العصابات، والحرب بالوكالة، والحرب غير المعلنة، والحرب العدوانيّة، فكلّها غير مشروعة في الإسلام بلا ريب.

إنّ الحرب فعلياً عمل وحشيّ، ولا يوجد مغزى إنسانيّ بشأنها بتاتاً. وفي الواقع، ووفقاً لمبادئ محدّدة ومعروفة للإسلام، فإنّ السّلام هو القاعدة، أمّا الحرب فهي الاستثناء النادر.

إنّ السّلام شيء يمكن أنّ نختاره في الظروف جميعها، في حين لا نتخذ قرار شنّ الحرب إلا في أوقات الطوارئ لأغراض الدفاع، وعندما يصبح لا مفرّ منه، وحين تكون الإستراتيجيّات السلميّة لتجنّب المواجهة جميعها قد باءت بالفشل.

إقناع سلمي لا إكراه

في موضوع الجهاد، يخاطب القرآن المؤمنين بما يأتي:

﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا﴾ الفرقان: 52.

كما نعلم، فإنّ القرآن الكريم كتاب فكريّ، فهو ليس بندقية ولا سيفاً. ولذلك، فإنّ (الجهاد) بمفهوم القرآن يعني فقط نقل الأفكار من القرآن الكريم إلى الناس. وهذا يعني أنّ علينا أن نناضل بسلام لجعل أفكار القرآن الكريم مفهومة من خلال تقديمها على شكل حجج منطقيّة.

إنّ الآية المذكورة أعلاه أوضحت أنّ ما يسمّى الجهاد في الإسلام يستلزم فقط نوع النضال السلمي الذي لا علاقة له بالعنف. الكلمة العربيّة (الجهاد) مشتقة من الجدر (جهد) الذي يعني السعي، والنضال من أجل هدف أو غاية، وبذل النفس إلى أقصى درجة ممكنة لتحقيق هدف المرء. وهذا هو المعنى الأصليّ لـ (الجهاد) في العربيّة.

إنّ هذه الآية تظهر أنّ الجهود السلميّة تتفوّق على جهود العنف كثيراً. وكلما لجأ الإنسان إلى أسلوب العنف، فإنّ نطاق جهوده يصبح محدوداً جداً. وفي اللجوء إلى العنف، ليس أمامنا إلاّ السيف والبندقية، في حين نستخدم أنواع الأشياء المتوافرة جميعها لتحقيق هدفنا بالطرائق السلميّة. وحتى القلم في الغرفة المغلقة يمكن أن يخدم غرضاً كبيراً.

الالتزام بالحقيقة مع الصبر والمثابرة

يخبرنا القرآن أنّ الذين يمكنهم تجنب أنفسهم الخسارة، وتحقيق الحياة الناجحة، هم:

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ العصر: 3.

ومن المؤسف أنّ من يلتزم مسار الحقيقة بنفسه، أو يدعو الناس إلى قبولها يُرفض من الآخرين على الدوام. فالمقاومة التي عليه أنّ يواجهها كبيرة جداً. وما على محبّ الحقيقة فعله هنا هو ممارسة الصبر الذي لا حدود له، وعليه أنّ يتحمّل بكلّ ثبات المشاقّ جميعها من غير أنّ يحاول تحميل مسؤوليتها لغيره.

إنّ الصبر اسمٌ آخرٌ للسلوك اللاعدواني، ويعني أنّه ينبغي للذي يدافع عن الحقيقة عدم مواجهة العنف بمثله، ما يتطلب التزامه بالسُّبل السلمية التزاماً أحادي الجانب.

فمن يتبنّى طريق الحقيقة، لا بدّ له من هجر العنف، فهما لا يجتمعان معاً. ومن يريد اختيار الحقيقة لا بدّ له من التخلّي عن العنف؛ فالعنف، أيّاً كانت أسبابه أو مسوغاته أو ذرائعه، يظلّ عنفاً. وأشكال العنف جميعها خبيثة بلا فرق، ولا يوجد أيّ مبرّر كان يمكنه أنّ يلغي عواقب العنف المدمرة أو يحدّ منها. ومن مساوئ العنف أنّه يستثير السلوك الذي يسعى إلى محاربتة ويعزّزه؛ فبدلاً من تقليص الشرّ فإنّ العنف يعمل على تكاثره.

ويبقى ارتكاب العنف باسم الحقيقة نفيًا للحقيقة، أمّا أولئك الذين يمارسون العنف باسم الحقيقة فهم يثبتون فقط أنّ قضيتهم بعيدة كلّ البعد عن الحقيقة، ومحَبّ الحقيقة لا يكون أبدًا محبًّا للعنف، ومن يحبّ العنف بالتأكيد ليس محبًّا للحقيقة، حتى لو كان يعدّ نفسه بطلًا للحقيقة.

اعتماد نهج المصالحة

لقد سادت حالة الحرب بين قريش والمسلمين حين كان الرسول محمد ﷺ يدعو للإسلام؛ نتيجة لعدوان قريش على خصومها. وفي هذا السياق، فإنّ الأوامر التي وردت في القرآن الكريم بهذه المناسبة هي:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١١ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِصُرُوهَ ۝١٢ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝١٣﴾ الأنفال: 61-62.

تدلّ هذه الآية من القرآن الكريم على أنّ السّلام مرغوب فيه في الإسلام إلى أقصى حدّ ممكن، حتى لو لم يكن إحلال السّلام إلا من خلال تكبّد الأخطار، فإنّه ينبغي أنّ تكون هذه طبيعة الحال من غير تردّد، كما شرع في القرآن الكريم.

وإذا قدّم أيّ عرض للصلح من الخصوم في أثناء الحرب، فيجب قبولها من غير أيّ تأخير، حتى لو افترضنا أنّ هناك خوفًا من بعض الخداع في عرض السّلام، فإنّنا يجب أنّ نقبل العرض على أمل أنّ الله سوف يكون دائمًا إلى جانب محبّي السّلام لا المضلّين.

وحقيقة أخرى تظهر هنا، في هذا العالم، وهي أنّه لا يمكن إحلال السّلام

إلا من خلال أولئك الذين يملكون قدرًا كبيرًا من الشجاعة، وفي العالم الحاليّ فإنّ مشكلات تنشأ حتمًا بين جماعات مختلفة؛ لعدم وجود حالة إنسانية مثاليّة على الإطلاق. فالجميع في مرحلة ما في حياتهم يواجهون بعض الظلم وسلب ما ينتمي إليهم من غير وجه حقّ. في هذه الحالات، يمكن لمثل هؤلاء الأفراد فقط إحلال السّلام بارتفاعهم فوق الاعتبارات كلها، وازدراء الذرائع جميعها للدخول في انتقام عنيف. والحقيقة هي أنّ الشجاع والشجاع جدًّا هو فقط من يستطيع إحلال السّلام في هذا العالم. وأولئك الذين يعانون نقصًا في الشجاعة سيواصلون الصراع، ومن ثمّ لن يسمحوا بإعادة كتاب تاريخ العالم وفقًا لشروط السّلام المباركة.

لا فساد على هذه الأرض

يشير القرآن في الآية الآتية إلى نوع معيّن من الشخصيّة، التي أسمت نفسها بالمصلح:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ البقرة: 11.

ويشير هذا إلى أولئك الذين يدعون أنّهم يمضون في العمل الإصلاحيّ، ولكنّ بأسلوب غير صحيح، كون نتيجة أفعالهم هي الفساد والانحراف. (الفساد) هنا يعني أنّ أعمالهم تقود إلى الاشتباك مع الآخرين ومواجهتهم، ممّا يوجد جوًّا من الكراهية المتبادلة، وتتقوّض الأخلاقيّات خلال هذه العمليّة ويسود التفكير السلبيّ، ويشار إلى هذه العوامل كلها بأنها إشاعة الفساد في الأرض؛ لأنّها تدمّر السلم الاجتماعيّ كلّه. وفي نهاية المطاف، يكون أعضاء المجتمع على خلاف أبديّ مع بعضهم.

إنّ هذا الدرس القرآني يدل على أنّه لا يكفي للممارسة أن يكون لدى الإنسان هدف جيّد، ليكون على صواب، ويدلّ أيضاً على أنّه يجب فحص الآثار الجانبية الناتجة التي قد تنشأ عن مثل هذا النوع من الإصلاح.

ولو أنّ هذه الأعمال نفسها أنتجت التوتّر والصراع - مع أنّ هدفها هو الإصلاح - فإنّه سيُنظر إلى أصحاب هذه الأعمال بأنهم ناشرون للفساد، وسوف يُدانون على أنّهم مجرمون لا صانعو سلام ومصالحون وخدام للإنسانية.

إن الإصلاح الحقيقي لا يكون حقاً كذلك، إلا إذا انحصر في مجال السّلام والإنسانية. إضافة إلى أنّه أيّ عمل سيّدان حتى لو نُفّذ باسم الإصلاح، على أنّه يغلّ بالأمن، أو الأسوأ من ذلك، يقود إلى خسائر في الأرواح أو تدمير للممتلكات. وينبغي لمهمة الإصلاح أن تؤدي إلى الإصلاح، أمّا إذا أدت إلى الفساد فإنّ هذه الحركة الإصلاحية بحدّ ذاتها شكل من أشكال الانحراف الاجتماعيّ، مهما كانت الكلمات البراقة التي قد تستخدم في وصفها.

الرزق الأكبر

لقد أورد القرآن مبدأ الحياة الآتي:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ ﴾ طه: 131.

هناك طريقتان مختلفتان جدّاً في الحقيقة ليحيا كلّ إنسان حياته الذاتية؛ أمّا الأولى؛ فهي موجّهة كلياً نحو العالم الماديّ، فلن تجد حدّاً لطموحات الذين يسعون إلى النجاح انطلاقاً من الثروة والمكانة الدنيويين؛ لأنّه

ومادامت أهدافهم دنيويّة بحته، فسيجدون أنّ كثيراً ممّن حولهم يمتلكون أكثر ممّا لديهم، ولا مفرّ من مثل هذه المفارقات. لذلك، فإنّ الإنسان الذي يعيش لأجل ماديّة الأشياء سيكتشف أنّه يعيش في حرمان دائم. وهنا، تنتج مشاعر السخط والغيرة، التي تتراكم مع الوقت على شكل تنافس وانتقام وعنف مرافق لكلّ هذا.

أمّا الطريقة الثانية فيما يتعلق بالفرد؛ فهي أنّ يعيش حياته مع شعور الإنجاز، ومثل هذا الشخص سيكون راضياً؛ فشعوره بالإنجاز سيمنعه من تغذية الكراهية ضدّ الآخرين، أو الانخراط في أعمال العنف. ولكنّ من هم أولئك الذين مُنحوا بركات هذا الشعور؟ إنهم بكلمات القرآن الكريم الذين يتلقون النعم من الله، فنعمة الله تعني الاقتناع باكتشاف الحقيقة؛ أي إنّ وجودهم الذي باركه الخالق هو أثمن من كنوز العالم كله؛ ذهبه وفضّته. فعلى كلّ فرد أن يحيا حياته بوعي تامّ بأنّ مصدر تغذيته الفكرية والروحانيّة هو الكون بأسره.

فالذي يصبح متلقياً لنعم الله في هذا العالم يتسامى لدرجة أنّ الأشياء الماديّة مثل الثروة والسلطة تصبح عديمة الأهمية في نظره، وتحوّله هذه النفسيّة من تلقاء نفسها إلى شخص محبّ للسلام، فالكراهية والعنف يبدوان له بلا معنى، فليس لديه الوقت لمثل هذه العواطف السلبية أو التخطيط للقيام بأعمال عنف. وعليه، فإنّ الذي ينال العظيم يستحيل أن يسعى نحو الوضيع، ولن ينخرط بناءً على هذا في أعمال العنف.

إسكات التذمر مباشرة

إنَّ عقلية المتذمر عدوانية؛ فهي تخنق التفكير الإيجابي، وينجم عنها التفكير السلبي الذي بلا شك هو السبب الرئيس وراء الشرور كلها في معظم الحالات؛ إذ يؤدي إلى إحساس دائم بالظلم، سواء أحيقياً كان أم وهمياً، ما يجعله السبب وراء أي أعمال عنف تحدث.

لقد وضعت سنة الخلق في هذا العالم الحاضر بطريقة لا مفر فيها من الاشتكاء والتظلم. وبناءً على ذلك، فإنه يجب رفض فكرة حدوث التذمر مباشرة، بمجرد أن تتخذ شكلها في تفكيرنا. فالتذمر إذا أشير إليه وأحيى باستمرار، فإنه يصبح راسخاً في الذاكرة، بحيث لا يكون هناك مجال لتخفيفه لاحقاً. وفي مثل هذا الموقف، فإنه من الحكمة وأد التذمر في مهده، وإذا تعذر ذلك، فإن التذمر سيصبح تدريجياً جزءاً دائماً من شخصيتك. وعليه، فإن تفكير المرء يكسبه طابعاً سلبياً، سوف يظهر الآخرون فيه مثل الأعداء. وإن سنحت له الفرصة، فإن المُتَشَكِّي لن يتردد في ممارسة العنف ضد أهداف شكواه وتذمره، حتى لو كان هو نفسه يعاني نتيجة لذلك.

ما الصيغة لوضع حد للتذمر منذ البداية؟ إن ذلك يكون بالتعمق في التفكير في الآية الآتية من القرآن الكريم:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ
كَثِيرٍ ﴾ الشورى: 30.

هذا يعني أنه كلما كان لدينا سبب للشكوى ضد أي شخص، يجب أن نوجه اللوم لأنفسنا بداية؛ إذ ينبغي لنا حينئذ أن نحاول تفسير شكوانا بطريقة يقع

اللوم من خلالها علينا. فعندما نتوصل إلى فهم أننا ارتكبنا خطأ ما، حينئذ علينا العمل على تصحيح أوجه القصور عندنا، بدلاً من إضاعة الوقت في الاحتجاجات والتذمر ضد العدو المفترض.

رحمة للعالمين

لدى القرآن ما يقوله هنا لرسول الإسلام:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: 107.

لقد أدى ظهور نبي الإسلام إلى جعل رحمة الله تبدو واضحة للبشرية جمعاء؛ فمن خلاله أرسل الله هذه المبادئ التي إن اختارها الإنسان فإنه يعيش في دار السلام والأمن الأبدية، ومن خلاله كشف عن مثل هذه التعاليم التي كان من شأنها أن تحوّل مجتمع الإنسان إلى مجتمع سلمي. ولأول مرة في التاريخ، قدّم نبي الإسلام عقيدة كاملة تقوم على مفهوم السلام.

لقد قدّم لنا صيغة لبناء حياة صحيّة عن طريق نبذ الكراهية والعنف، ومن خلاله دبّ الحراك في ثورة جعلت من الممكن بناء مجتمع سلمي من خلال تجنّب الحرب والمواجهة. وعلى الرغم من أنّ نبي الإسلام كان قد اضطرّ إلى شنّ غزوات قليلة، فإنّها كانت قصيرة، حتى إنّنا نستطيع وصفها بالمناوشات بدلاً من الحرب الشاملة. سيكون من الصحيح تماماً أن نقول: إنّ نبي الإسلام ابتداءً ثورة، على الرغم من عظم شأنها ونطاقها وتداعياتها، لكنها كانت غير دمويّة تقريباً. ولقد أعطى السلام سمة العقيدة أو نظام الحياة، وجعل من الواضح لأتباعه أنّ العنف وسيلة للتدمير، أما السلام فهو

السبيل للبناء والتشييد. لقد عدّ الصّبر أعظم شكل من أشكال العبادة، كما عدّ الفساد الجريمة الأكبر كونه يزع يقلق نظام الطبيعة الآمن.

أضف إلى هذا أنّ النبيّ أمر المؤمنين أن يُحيّوا بعضهم بعضاً بعبارة (السّلام عليكم) ، وفي هذا دلالة على أنّ العلاقات المتبادلة ينبغي أن تبنى على السّلام والأمن. لقد أخبر النبيّ المؤمنين بأنّ الفوز بالآخرة يجب أن يكون هدفاً لنضال الإنسان، وبهذه الطريقة تتبدّد الفكرة القائلة: إنّ التقدّم الدنيويّ يجب أن يكون هدف الإنسان في الحياة؛ لأنّ هذا هو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى أنواع المواجهة والعنف جميعها. وكانت صيغته لعيش أفضل تتمثّل في جعل الشخص نفسه مفيداً للآخرين، وإذا لم يكن ذلك ممكناً، فعلى الأقلّ عدم الإساءة إليهم، وعدم عدّ أيّ شخص عدواً، فحتى العدو لا بدّ له من أن يحظى بمعاملة عادلة؛ لأنّه حينئذ فقط يدرك المرء أنّ العدو كان صديقاً محتملاً: (العدو) دائماً في داخله قابلية أن يكون صديقاً.

السّلام في الظروف كافة

لقد كان رسول الإسلام من محبّي السّلام لأقصى الحدود، ولطالما حاول خصومه أن يستدرجوه إلى الحرب مراراً وتكراراً، لكنه كان يتجنّب التورط في كلّ مرّة. ومع ذلك، وفي بعض الأحيان نظراً إلى العدوان من جانب واحد، لم يكن أمامه من خيار سوى القتال دفاعاً عن النفس، ولمدّة محدودة.

(بدر) كانت معركة من هذا القبيل.

ويظهر التاريخ أنّه عندما كان الجيشان من كلا الجانبين مستعدّين للمعركة، هبط جبريل - ملاك الله - على النبيّ ﷺ وقال له:

عقيدة السّلام

«السّلام يقرئك السّلام، ويخصّك بالتحية والإكرام».

وعند سماع هذا، أجب نبيّ الإسلام: «اللّهُ هو السّلام، السّلام هو منه وإليه هو السّلام».

وهذا الموقف يدلّ على أنّ نبيّ الإسلام حتى في هذه المرحلة، كان محبباً للسّلام. حتى في أوج تلك المرحلة، فإنّ عقله كان خالياً من مشاعر الكراهية والعنف، بل كان يفكر من منطلق السّلام والأمن، وكان قلبه ينبض بالرغبة في نشر هذه الظروف في العالم بعون من اللّهُ تعالى. فالرجل الحقّ هو الرجل الذي يستطيع أن يفكر في السّلام حتى في أوقات الحرب، والذي يمتلئ قلبه بمشاعر السّلام والأمان الطيبة، حتى خلال الطوارئ على ساحة المعركة.

وهذا ليس بالأمر العاديّ المألوف؛ ففي عالم الواقع يعدّ هذا المثال الأعلى للتفكير الإيجابي. وكما نعلم جميعاً، فإنّ الحرب هي الأكثر سلبية في الأحداث جميعها؛ فالنبيّ الذي كان يدير المعركة، وعلى وشك البدء بالحرب، نطقت شفتاه كلمات السّلم والأمن بدلاً من الحرب والعنف. وهذا مؤشّر على فضيلة الإنسان الأعلى؛ فالأنبل شخصيّة بين الناس هو الذي يفكر في السّلام وسط العنف، ويخطّط للمصالحة حتى في زمن الحرب.

مواطنون مسالمون

وفقاً لحديث نبوي شريف، يُعرّف نبيّ الإسلام المؤمن على النحو الآتي:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ».

(الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومسنَد الإمام أحمد)

هناك طريقتان ليحيا الإنسان حياته في المجتمع؛ الأولى أن يعيش بسلام بين من حوله، والأخرى الاستمرار في العداة مع الآخرين. ووفقاً لهذا الحديث، فإنّ الطريق إلى المؤمنين والإيمان تكون بالعيش السلمي بوصفنا مواطنين في المجتمع؛ فلا ينبغي لأحد أن يشكّل أيّ خطر على ممتلكات الآخرين، أو حياتهم، أو أعراضهم، فلا ينبغي للمرء أن يتخذ طريق العنف تحت أيّ ظرف من الظروف.

كيف ينبغي أن نعيش الحياة بحيث يبقى أعضاء المجتمع سليمين آمنين من ظلم الآخرين؟

علينا المحافظة على الاعتدال، بغضّ النظر عن وجود أسباب للتدمر، وينبغي أن يكونوا قادرين على دفن تدمرهم في قلوبهم الذاتية، بدلاً من صبّه على آخرين. إنّ المجتمع الذي يسوده مثل ضبط النفس هذا مجتمع يتمتع أفراده بالشعور بالأمان. وفي الواقع، فإنّ المجتمع السلمي هو الإطار المثالي لتحقيق التنمية البشريّة الإيجابية. وعلى العكس من ذلك، فإنّ المجتمع الذي يحفّه العنف هو مجتمع حيواني وليس مجتمعاً بشرياً.

إنّ محبة السّلام فضيلة إنسانيّة نبيلة، في حين ينحطّ حبّ العنف بالإنسان وباستمرار من الأخلاقيّة العالية إلى مستوى الحماقة المتدنيّة.

لا مواجهة مع العدو

يقول نبيّ الإسلام:

«أيها الناس، لا تمنّوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية».

وهذا يعني أنّه إذا أصبح شخص ما عدوّنا، فلا ينبغي أن نتحوّل بالضرورة ضدّه ونبدأ القتال معه. فرغم عدائيّته، ينبغي لنا أن نختار تجنّب الاحتكاك معّه؛ لمنع الصراع معه.

(اسألوا الله العافية)، معناها أن نختار طريق السّلام بدلاً من المواجهة، فنحصل على عون الله للمضي فيه. ولا ينبغي للمؤمن ألا يدعو الله بمثل الدعاء الآتي: (يا الله، دمرّ العدو)، بل ينبغي أن يكون دعاؤه كالآتي: (يا ربّ، ساعدني على البقاء بعيداً عن طريق العنف والمواجهة، على الرغم من عدائيّة الآخرين، وساعدني على مواصلة رحلة حياتي على طريق السّلام).

وهذا يدلّ على أنّه وفقاً لسنة الطبيعة، فإنّ السّلام في هذا العالم هو القاعدة العامّة، في حين أنّ العنف ضرورة مؤقتة. إضافة إلى ذلك، فإنّ هذا يخبرنا بأنّه إذا كان عدوّنا فرداً أو جماعة، فإنّ طريقة المواجهة ليست الطريقة الوحيدة لحلّ مشكلة. والطريقة الأفضل والأكثر ملاءمة هي تحييد العداء من خلال استراتيجيّة سلميّة. إنّ قوّة السّلام أكثر فاعليّة وأكثر فائدة بكثير من قوّة العنف.

الأسلوب السلمي هو الأفضل

إنّنا نتعلم من الأثر كيف كانت سياسة النبيّ في المسائل العامّة:

«وما خَيْرٌ ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً». (البخاري)

إذا نظرنا إلى مبدأ اختيار الأسهل في سياق العنف في مقابل الطريقة السلميّة، فيسكون من الصحيح القول: إنّ طريقة النبيّ في أيّ موقف كانت بالامتناع بمثابرة عن استخدام الأساليب العنيفة في التعامل مع المسألة

المطروحة. ولهذا، فإنّ المسار السلميّ يجب أن يُسلك دائماً؛ لأنه ما لا شكّ فيه أنّ أسلوب العنف يقع ضمن فئة الخيار الأصعب، في حين أنّ العكس هو الصحيح فيما يخصّ إلى الطريقة السلميّة.

ومع ذلك، فالمسألة ليست مسألة خيارات أسهل أو أصعب، بل تعني أنّه وبتأملنا العام، فإنّ الأسلوب السلميّ يكون موجّهاً دائماً من أجل تحقيق نتائج إيجابية، في حين أنّ أسلوب العنف ليس إلا تمريناً في العبثية. فالأسلوب العنيف لا يفشل في حلّ المشكلة فحسب، بل يزيد من تفاقمها وتعقيدها أيضاً. وفي الحديث، فإنّ الطريق الصعبة تعني اتباع المسار المليء بالعقبات. وعلى العكس من ذلك، فالطريق الأسهل يعني التصرّف بطريقة تُسهّل تحقيق هدفنا.

حدود الاختلاف

يقول نبيّ الإسلام ما يأتي:

(أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر). ومن ناحية أخرى، فقد ورد حديث آخر للنبيّ ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه». وبالمثل، في مناسبة أخرى، يقول النبيّ ﷺ: «تسمع وتطيع للأمر إن ضرب ظهرك، وأخذ مالك».

يبدو أنّ هناك نوعين من الوصايا في هذه الأحاديث: فمن ناحية، فقد أمرنا أنّ نقول للحاكم بوضوح ما إذا كان يسير في الطريق غير الصحيح أم لا، في حين أنّ الحديث الآخر يفرض علينا البقاء صابرين من جهتنا، وأنّ نتحمّل كلّ ظلم من الحاكم.

إنّ هذه التعاليم على قدر كبير من الأهميّة، وهي تميّز بين إيصال المشورة اللفظيّة، واتخاذ خطوة عمليّة. ومن المرغوب فيه بالتأكيد أنّه إذا رأى شخص موالٍ حاكمه قد سلك الطريق الخطأ، فإنّ عليه أن يلفت انتباهه إلى هذا بأسلوب لينّ فيه النصح، ولكن بقدر الاهتمام باتخاذ الخطوات العمليّة، فإنّه لا بدّ له من الامتناع كلياً عن القيام بذلك، وعليه أن يفرّق بين النصح الصادق وسياسات المواجهة، وأنّ عليه الإفادة من حقّه الشرعيّ بأنّ ينطق كلمات المشورة الصالحة، وأنّ يتمتع عن المواجهة السياسيّة العنيفة.

إنّ هذا المبدأ الأساسيّ مهمّ جدّاً، فجوّ العنف ينشأ في المجتمع عندما يطلق أعضاؤه حركات المواجهة ضدّ حكامهم؛ وذلك بهدف الإطاحة بهم تحت اسم الإصلاح السياسيّ. ولكن من ناحية أخرى، إذا قصرُوا أنفسهم عن النصيحة اللفظيّة وامتنعوا عن السياسة المثيرة للجدل فسيبقى المجتمع مسالماً دائماً، ولن يصبح أبداً غابة من العنف.

فضيلة المرونة

كما ورد في الحديث، يقول نبيّ الإسلام: (كمثل خامة الزرع، من حيث أنتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت كفأتها بالبلاء...)، وعلى هذا، فإنّ هناك طريقتين للتصرّف في أثناء وجود عاصفة؛ الطريقة الأولى بمواجهتها بكلّ صلابة، أمّا الطريقة الأخرى فهي أن تكون مرناً وأنّ تحني في مواجهتها. وهنا يمكننا أن نضع الأمر بطريقة مختلفة، فنقول: هناك طريقتان لمواجهة الشدائد: واحدة بالطرائق السلميّة، والأخرى من خلال العُنف. إن الله سبحانه يأمر بالتخلّي عن أسلوب العنف في صالح الطريقة السلميّة.

إنّ العنف ذو علاقة بحبّ الذات في الأساس، وهذه الأنا حينما تُستنفز تظهر تقريباً أنواع العنف والقتال جميعها؛ فعندما تتأثر الأنا لإنسان ما، فإنّها تتحوّل إلى الأنا العظمى، والنتيجة تكون الانهيار. ومن المسلمات أنّ أولئك الذين يعانون الأنانيّة اختاروا ألا يكونوا مرنين في مواجهة عواصف الحياة. وعلى العكس، فإنّ المتواضع هو من يخطو على طريق السّلام في مواجهة الشدائد. وفي عالم الله هذا فإنّ الدمار مصير أولئك الذين ينغمسون في الأنانيّة، في حين ينتظر النجاح أولئك الذين يديرون أنفسهم بتواضع جمّ. وهناك حديث آخر يؤكّد هذه النقطة نفسها:

«من تواضع لله رفعه».

لذلك، فإنّ سرّ التعايش السلميّ هو بالمتابعة على تجنّب صدام الأنا الموجودة في الأفراد أو الجماعات. وهذه هي الصيغة الوحيدة لإقامة مجتمع سلميّ على أساس دائم.

إثبات بدهيّ

عُقدت في السادس من شباط عام 1998م ندوة دامت ثلاثة أيام في واشنطن تحت رعاية الجامعة الأمريكيّة، ألقى فيها الكاتب خطاباً عن مفهوم السّلام في الإسلام، أعيدت صياغة جزء منه فيما يتبع من هذا الكتاب.

ولا مبالغة في القول: إنّ الإسلام والعنف متناقضان بعضها مع بعض. إنّ مفهوم الإرهاب الإسلاميّ لا أساس له من الصّحة.

وحقيقة أنّ العنف غير مستدام في العالم الحاليّ تكفي لتبيّن أنّ العنف من حيث المبدأ غريب عن خطط معالجة الأشياء في الإسلام. يدّعي الإسلام

أنّه خاتم الأديان، وعلى هذا النحو، فإنّه لا يمكن أن يضع في مخططه أيّ مبدأ قد لا يكون مناسباً في وقت قادم من الزمن. إنّ أيّ محاولة للعنف في الإسلام من شأنها إلقاء الشكّ على ديمومة الديانة الإسلاميّة.

إنّ عبارة مثل (العنف الإسلاميّ) تحمل النوع نفسه من التناقض، كما في قولنا (الإرهاب السلميّ). والحقيقة هي أنّ تعاليم الإسلام كلها تقوم بصورة مباشرة أو غير مباشرة على مبدأ السّلام. ففي حين يمكن تحقيق الأهداف الإسلاميّة جميعها في جوّ سلميّ، فإنّه لا توجد أهداف إسلاميّة يمكن تحقيقها في جوّ من العنف.



الفصل التاسع: رحلة نحو السّلام

لقد تعاملت مع قضية السّلام بصورة مباشرة أو غير مباشرة منذ عام 1950م. وفي هذا الصدد، وعلى الرغم من ضغوطات الأنشطة المختلفة الأخرى فقد شاركت في عدد من مؤتمرات السّلام، في الهند، وكذلك في الخارج، ولقد نُشرَ عدد كبير من كتاباتي عن هذا الموضوع. وهنا أودّ أنّ أشير إلى ثلاثة مؤتمرات دولية للسّلام عُقدت مؤخراً بشأن مسألة السّلام، التي حضرتها وحاولت من خلالها تقديم مساهماتي. المؤتمرات الثلاثة جميعها عُقدت برعاية منتدى نزع السلاح النووي، برئاسة السيّد أندريه بايكوف، شارك فيها عدد من ذوي التعليم والثقافة العالية من مختلف أنحاء العالم.

وقد عُقد المؤتمر الأول في هذا الصدد من الخامس والعشرين إلى الثلاثين من تمّوز عام 2001م، في كاندرستيغ، وهو منتجع مشهور في سويسرا، وكان موضوعه: (كيف نبني عالماً خالياً من الأسلحة النووية؟)، وقد قدّمت ورقة في هذه المناسبة أعيدت صياغتها أدناه.

«أيها السيّدات والسادة:

إنّ موضوع هذا الاجتماع هو المسألة المعقدة لنزع السلاح النووي، الذي كان من المناسب والضروري في هذه المرحلة من تطوّر العالم أنّ تناقشه في محافل من مثل هذا النوع. إنني شاكر لذلك، ولمنظمي هذا المؤتمر، لإتاحة الفرصة لي لمشاركة وجهات النظر معكم.

إن ما يهمني في المقام الأول هو الفهم الكامل لأسباب تكديس التسليح النوويّ. فالسبب الرئيس في رأيي هو عدم الثقة بين الناس، وكذلك بين الأمم، وقد تسبب انتشار التسليح النوويّ في تصعيد هذه الريبة، وزيادة في الأعمال الأخرى ذات الصلة. والشيء الذي عُدُّ بأنه سيكون مسؤولاً على نحو أساسي عن انعدام الثقة هذه هو عدم وجود الروحانيّة في العصر الحديث، لذا فإنّ علينا أنْ نعمل على إزالة هذا الأسباب السبب الجوهرية، وإلا سيكون من المستحيل تقريباً إحراز أيّ تقدّم.

هناك مقولة معروفة ليسوع المسيح؛ إذ قال: (أحبّ عدوك)، وهذا يعني أنّ على المرء أنْ يحبّ الجميع؛ وفيهم أعداؤه. وهذا هو جوهر الروحانيّة والدين: الحبّ والتعاطف مع من حولك. وإذا كنّا جادّين في رغبتنا في إزالة المشكلات التي تواجه البشريّة جميعها أو حلّها، ولا سيّما المسائل المتعلقة بالتسلّح النوويّ وأعمال العنف، فإنّه يجب علينا أنْ نوكّد أكثر الأمور الروحانيّة، وإحياء الروح الحقيقيّة للتدبّن.

وأودّ أن أذكر مثلاً من الأثر الإسلاميّ؛ فنحن نعلم أنّ نبيّ الإسلام ولد في مكّة المكرمة، وهاجر في وقت لاحق إلى المدينة المنورة، وفي تلك الأيام، كان هناك بعض اليهود الذين يعيشون في المدينة المنورة، وذات يوم، عندما كان النبيّ جالساً مع رفاقه في الخارج، مرّت بهم جنازة فقام: «فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّهَا جِنَازَةٌ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا» (البخاريّ)

جاء هذا مباشرة من قلب رجل روحانيّ حقّاً، رجل متديّن حقّاً يشعر بالرحمة دائماً مع الرجال والنساء جميعهم، ويحبّ الجميع بالتساوي. ولكن

عندما نعاني نقصَ الروحانيّة والقيم الدينيّة، فإنّنا نميل إلى أن نصبح أكثر خوفاً وأقلّ ثقةً بمن حولنا.

إنّنا في هذا العالم الحديث شهود على مشهد يستغلّ الناس فيه بعضهم؛ فلقد أصبح من الأسهل استغلال الآخرين على حبّهم. وأعتقد أنّ هذا يفسّر سبب مشكلاتنا الحالية على نحو ما.

وأهمّ شيء نقوم به أولاً قبل كلّ شيء هو أن نؤصّل في أنفسنا وفي الآخرين روحانيّة حقيقيّة. وهذه هي السبيل الوحيدة لإنشاء نظام عالمي قائم على المودّة والرّحمة، الأمر الذي يؤدّي بدوره إلى إنشاء استقرار دولي. ومن غير مثل هذه التدابير الإيجابية سيكون من المستحيل حلّ مشكلات اليوم، وشكراً.

وبمناسبة انعقاد المؤتمر الدوليّ في كاندرستيغ (سويسرا)، وبناءً على طلب من السيّد أندريه بايكوف، رئيس مجلس إدارة منتدى نزع السلاح النوويّ، أعددت وثيقة بشأن هذه المسألة. وقد قدّمت هذه الوثيقة في نهاية المؤتمر في الثلاثين من يوليو عام 2001م، في حفل أقيم في مدينة زوغ التاريخيّة (سويسرا)، ونُشرت لاحقاً للتوزيع العام، وقد أعيدت صياغتها على النحو الآتي:

«إنّ السّلام أمر ضروريّ للحصول على أفضل طريقة للمعيشة، سلام العقل، والسّلام في الأسرة، والسّلام في الطبيعة. واليوم، في عالمنا التقني الحديث، يبدو أنّ الإنسان ظاهرياً أصبحت لديه القدرة على الوصول إلى كلّ شيء يرغب فيه، ولكن في غياب السّلام، فقد غدا كلّ شيء بلا معنى. والمطلوب لمعالجة التوازن ثانية هو الحبّ، والرّحمة، والتسامح، والصبر، وروح التعايش. إنّ التعايش السلميّ هو السبيل الوحيد للوجود في هذا العالم.

كيف يمكن أن نحقق السّلام؟ إنّ الصيغة بسيطة جدًّا؛ خذ مالك من غير أن تفتصب ما للآخرين، ولبّ حاجاتك الذاتية من غير حرمان الآخرين تلبية حاجاتهم، ثمّ لبّ رغباتك من غير إحباط الآخرين، وحقق طموحاتك من غير تجاهل الآخرين. وباختصار، حلّ مشكلاتك من دون افتعال مشكلات للآخرين من حولك.

ومع ذلك، لا يمكن تحقيق حياة سلمية إلا عندما يدرك البشر ما يجب أن تكون عليه حدودهم. فوفقاً للقانون الإلهي، يمكنك أن تأخذ من هذا العالم كلّ ما ترضي به حاجتك، لا جشعك.

يمكنك القيام بأعمال تجارية مع غيرك، ولكن ليس على حساب الأسرة والمجتمع. ففي وجودك اليومي، قد تعيش حياتك من خلال المحافظة على البنية الاجتماعيّة والتقاليد وليس بالقضاء عليها. فلديك الحرّية لإدارة حياتك الشخصية، ولكن مع تقديم الرعاية لبقية المجتمع وليس من خلال تجاهلهم. ويمكن استخدام الموارد لمصلحة الإنسانية، ولكن ليس لأغراض استغلالية بحتة. إنّك حرّ في استخدام وسائل سلمية، ولكنك لست مخوّلاً لاستخدام الأساليب العنيفة. تستطيع استغلال الطبيعة، ولكن من خلال المحافظة على توازنها؛ إذ لا يجب الإخلال أبداً بنظام التوازن فيها. إنّ لديك الحرّية لتستخدم الطاقة النوويّة للأغراض السلمية، ولكن ليس لتصنيع الأسلحة المدمّرة، ولك مُطلق الحرّية أيضاً لتغذية مشاعر المؤدّة والرحمة، ولكن ليس لتفسيح المجال للكراهية والتحيز. إنّك حرّ في تلبية رغباتك البدنيّة، ولكن ليس بقتل النفس روحانياً. وباختصار، لديك حرّية الاستمتاع بالحياة من خلال التقاسم مع الآخرين، ولكن بالتأكيد ليس بالقضاء عليهم.

وفي العالم الحاليّ، فإنّ السبب الجذريّ لمعظم المشكلات يمكن أن يعزى إلى انحرافنا عن النموذج الذي استنتجته الطبيعة، التي هي من حولنا أفضل نموذج نقنّدي به، والمعضلات جميعها التي نواجهها هذه الأيام تنشأ بسبب تجاهلنا هذا النموذج.

فالنجوم والكواكب في حركة مستمرة في مداراتها، لكنّها لا تتصادم مع بعضها. وهذا مثال لإظهار كيف أنّ الإنسان قد يمضي في الحياة من غير صراع مع الآخرين؛ إذ يجب عليه أن يواصل رحلته إلى الأمام نحو مقصده من غير إزعاج طريق الآخرين. والشمس نموذج رائع يظهر لنا كيف يمكننا أن نعطي الحياة للآخرين تمامًا من غير أيّ تمييز بينهم. الشجرة هي أيضًا مثال ساطع للإنسان، فهي تزوّدنا بالأكسجين الصحيّ والمفيد مقابل حصولها على ثاني أكسيد الكربون الضارّ. وانظر كيف تنشر الأزهار عبقها في كلّ مكان من غير انتظار المقابل على فعل ذلك. والنبع المتدفق هو أيضًا مثال نموذجي؛ إنه يروي الحقول من غير توقّع أيّ شيء في المقابل. فمن غير غرس قيم الإيثار هذه بين بني البشر، لا تمكين أن توجد حياة وذات معنى على الأرض.

وباختصار، فإنّ الإيجابية تسود في أنحاء الطبيعة جميعها، والسلبية لا وجود لها في العالم الطبيعيّ. وهذا يعلمنا درسًا، هو أنّ استجابتنا يجب أن تظلّ إيجابية في الأوقات جميعها، حتى في الحالات السلبية.

والموعظة الآتية في أنّ نحذو حذو الطبيعة هي بالضبط ما أعرب عنه السيّد المسيح في هذه الكلمات الإلهية:

«أبانا الذي في السموات ليتقدّس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في

السماء كذلك على الأرض». (متى، 6:10)

أما المؤتمر الثاني للسلام، فكان تحت رعاية منتدى نزع السلاح النووي، الذي عُقد في فندق أشداون بارك، لندن، 18-21 سبتمبر 2001م. وبوصفي مدعوًا لهذا المؤتمر، الذي حضره مندوبون من مختلف أنحاء العالم، أقيمت خطابًا خلال المداولات. ويرد نصّ هذا الخطاب أدناه.

خطاب في مؤتمر لندن

إنّني شاكر لمنظمي هذا المؤتمر لإتاحة الفرصة لي لحضور هذا الاجتماع الدوليّ. لعلّي أتمكّن من مشاركة وجهات نظري مع هذا الجمهور المثقّف. لقد بدأنا رحلتنا للسلام من سويسرا؛ حيث نجحنا في تعرّف المشكلات الأساسية التي يواجهها العالم هذه الأيام.

إنّ الإعلان المشترك الذي صدر في مدينة زوغ السويسرية قد دعا إلى بناء عالم أفضل، يستند إلى أساس القيم الأخلاقية والروحانيّة. ولكي يصبح هذا واقعًا؛ علينا أن ننشئ السّلام أولًا؛ لأنّه من غير السّلام لا يمكن لعمل بناء أن يتمّ على نحو فاعل. ولقد أكّد أنّ بداية عمليّة السّلام تستلزم بالضرورة القضاء على الأسلحة النوويّة، ومن غير هذا لا يمكن إحراز أيّ تقدّم.

وكان التشديد على أهميّة فكر اجتثاث العنف جانبًا واحدًا من المداولات التي جرت في سويسرا. إنّ العنف يبدأ دائمًا في العقل، لذلك علينا اقتلاع من العقل نفسه، وعلينا أن نجد عقيدة للسلام نواجه بها عقيدة العنف. وخلافًا لهذا، لن تكون هناك نهاية للعنف. إنّ الأحداث المروعة التي حصلت في نيويورك وواشنطن في اليوم الحادي عشر من سبتمبر، عام 2001م، دليل كافٍ على هذا القول.

لقد ظهر على نحو فاعل أنه مع نزع العنف في العقل، يستطيع الإنسان شئ حرب من غير أن يكون في حيازته أي أسلحة، فهو يستطيع التفجير من غير قنبلة. لذلك، علينا القضاء على عقليّة العنف وغرس وسيلة سلميّة للتفكير بدلاً منها.

وفي ضوء هذا الواقع، وبروح من إعلان زوغ، فقد أعددت كراسيتين بعنوان: بيان رسمي للسّلام، والطريق إلى الجنّة. وهذه هي مساهمتي المتواضعة لهذه المهمة العالمية. ويصف العمل الأول أهمية السّلام الخارجيّ، في حين أنّ العمل الآخر يوضّح أهمية السّلام الداخليّ، وكلاهما ضروريّ للحصول على التنمية المتوازنة السلسلة.

والآن، أودّ أن أبدي بعض التعليقات المختصرة بشأن الفريق الحاليّ؛ فهذه المجموعة من الأطراف المعنيّة من الناس، التي نظّمت تحت القيادة النشطة للسيد أندريه بايكوف، تبدو مجموعة قليلة في الوقت الحاضر، لكنّ كونها مجموعة صغيرة أو قليلة لا يعني أنّ هذه نقطة سلبية. فكما قال شوماخر، ولعله كان على حقّ: «الصغير جميل». ويقول لنا المؤرّخ البريطانيّ، أرنولد توينبي، وبعد دراسة طويلة مدى الحياة للتاريخ، إنّها كانت تلك الأقليات التي أثبتت أنّ الأقلية المبدعة هي التي صنعت الثورات الكبرى في التاريخ الإنسانيّ.

إنّني آمل بكلّ صدق أنّ يكون هذا الفريق بقدر اختبار الإبداع، وأنّ ينجح في إحداث ثورة انتظرها العالم منذ مدة طويلة.

في الختام، أودّ أن أقول: إنّ صيغة الثورة في منتهى البساطة:

غير نفسك، وسوف تكون هذه النفس قادرة على تغيير العالم بأسره. وفقكم
الله لتحقيق هذا الهدف النبيل.

منتدى نزع السلاح النوويّ

أشداون بارك، لندن

14 سبتمبر 2001م

المؤتمر الدوليّ الثالث، تحت رعاية منتدى نزع السلاح النوويّ، عقد في
الثاني عشر من أكتوبر عام 2002م في المدينة التاريخية في زوغ، سويسرا.
وهذا المؤتمر الذي شاركت فيه، حضره أيضًا علماء من مختلف أنحاء العالم.
وقد أعددت ورقة لتقديمها في هذه المناسبة، معربًا عن آرائي فيما يتعلق
بالسلام العالميّ. وأعيدت كتابتها في الصفحات الآتية.

بداية عهد جديد

منتدى نزع السلاح النووي، سويسرا، 12 أكتوبر، 2002م

قال أحد المؤرخين، كان على حق: إن تاريخ الجنس البشري ليس إلا سجلاً للحروب والعنف. فبعد الحرب العالمية الثانية، وصل هذا الوضع ذروته، أما الآن فقد شهد العالم ظهور قوتين عظميين، وكلتاهما مسلحتان بالآلاف والآلاف من القنابل النووية. ولكن سرعان ما اكتُشف أن الأسلحة النووية كانت عديمة الجدوى من الناحية العملية؛ فالقنابل النووية ليست مفيدة لا للهجوم ولا للدفاع؛ فمع أنها تستخدم في إبادة الأعداء، إلا أنها أيضاً طريق انتحار للمهاجم. وبعد أن اتضح هذا الواقع للقوى العظمى، أصبحت هذه القنابل النووية عائقاً بدلاً من كونها داعماً.

وقد أدى هذا الإدراك إلى مفاوضات جادة بين القوتين العظميين من أجل وضع حد لهذا الخطر المميت. وهنا سمعت العقول كلها إلى إيجاد صيغة للتدمير الثنائي للأسلحة النووية، ولكن ثبت أن هذه الثنائية غير عملية.

وبفضل من الله تعالى، وبعد تأمل طويل، وجدت الجواب عن هذا السؤال، في درس ديني عالمي. يقوم هذا الدرس على مبدأ الأخلاق من جانب واحد، وتطبيق الأمر يتطلب قوة عظمى واحدة للبدء في تدمير كومة من الأسلحة النووية من غير الإصرار على أن يتم ذلك على أساس ثنائي. ومثل هذا العمل من جانب واحد سيوجد جواً قهرياً عند الطرف الآخر، ما سيشعره بعد ذلك أنه ليس لديه خيار سوى اتباع النهج نفسه؛ لأنه سيفقد مبرر إبقاء الترسانة النووية لديه.

لقد أوردتُ هذا الاقتراح أوّل مرّة بشأن اتّباع سياسة الطرف الواحد في الاجتماع الدوليّ الذي نظّمه منتدى نزع السلاح النوويّ الذي عُقد في 26-30 من يوليو 2001م، في كاندرستيغ (سويسرا).

وكانت الفكرة موضع تقدير كبير من السيّد أندريه بايكوف، رئيس المنتدى. وقد جمعتها لاحقاً على شكل كُتيب ونشرتها. وفي الاجتماع اللاحق للمنتدى الذي عُقد في غابة أشداون (إنكلترا) في سبتمبر عام 2001م، وُزِع هذا الكتيب على المشاركين جميعهم. ومعّ الدعم النشط من السيّد أندريه بايكوف، اكتسبت فكرة السياسة الأحاديّة في نزع السلاح سرعة انتشار واسعة.

وما يدعو إلى السرور والارتياح أنّ بدأت روسيا فعلاً بتدمير تسلّحها النوويّ. وعليه، أصبحت روسيا الأولى في تاريخ التسلّح النوويّ التي تبدأ نزع السلاح عن طريق التخلّص من نحو 100 كغم من البلوتونيوم الفائض من الأسلحة النوويّة، وما يعادل 10 قنابل نوويّة، وأسلحة تملك قوّة تدميريّة تفوق قنابل هيروشيما بـ 100 مرّة. لا ريب في أنّها خطوة حاسمة نحو تدمير أسلحة البلوتونيوم والتخلّص منها في أنحاء العالم جميعها. وعلى الرّغم من أنّ هذه العمليّة يجري تمويلها بسخاء من الولايات المتحدة الأمريكيّة، فإنّ الفضل يعود إلى روسيا لاتّخاذها الخطوة الأولى.

اكتشف السيّد أندريه بايكوف، وهو عالم روسيّ بارز، صيغة لاستخراج البلوتونيوم من القنابل النوويّة ونجح في ذلك؛ ليعاد استخدامها في أغراض بناءة. وبهذه الصيغة، نجح في تحويل الأسلحة المدمرة إلى آلات بناءة. وقد كان هذا إنجازاً تاريخياً عظيماً؛ فهو يستحقّ أن يُسبب إليه الفضل في

الفصل التاسع: رحلة نحو السّلام

إنقاذ البشرية من الصراعات النوويّة. وفي الوقت نفسه، فقد أثبت أنّ العقل البشريّ لديه القدرة الفريدة من نوعها لتحويل السالب إلى موجب.

يبدو الآن أنّ حلم البشرية سيتحقق، حلم بعالم خالٍ من النوويّ، سوف يتحقّق في غضون مدّة قصيرة من الزمن. فإذا كان القرن العشرون قرناً للحروب والعنف، فالقرن الواحد والعشرون، ومن المؤكّد كما يبدو، يمضي على أنّ يكون قرناً للسّلام والسعادة، عالم جديد يولد. إنّ الجنس البشريّ مرّة أخرى على عتبة عهد جديد.

والآن، أودّ أن أهنيئ السيد أندريه بايكوف؛ لأنّه بدأ عمليّة نزع السلاح النوويّ بنجاح، وهو إنجاز دوليّ عظيم يضاف إلى إنجازاته.

وما بعث على الارتياح الكبير أنّنا استطعنا العثور على صيغة عمليّة جدّاً لتفادي الحرب النوويّة، التي ألقت بظلالها على الإنسانيّة مدّة طويلة.

لكن أودّ أن أغتنم هذه الفرصة لأشير إلى أنّ هناك حقلاً آخر أيضاً علينا النظر إليه مع بعثة السّلام هذه، هو الإرهاب؛ أي العمل المسلح من قبل الجماعات الخاصّة والأفراد. ودعونا لا ننسى أنّه إذا كانت قوّة عظمى لا تستطيع تحمّل شنّ حرب لا نهاية لها، فإنّ الإرهابيون يستطيعون ذلك. وهؤلاء الإرهابيون، وهم أناسٌ من أجناس مختلفة، هدفهم النهائيّ ليس بالضرورة الانتصار، بل إنّ الموت هو هدفهم المنشود. ووفقاً لفكرهم وعلى الفرار نفسه، فإنّهم يعتقدون بأنّهم إذا ماتوا في هذا الصراع المتشدّد، فإنّهم سوف يدخلون الجنّة مباشرة. ولذلك، ووفقاً لمعتقداتهم، فإنّ النصر والهزيمة سواءٌ في نظرهم، وهم يعتقدون بأنّهم الفائزون دائماً في قضيتهم. وبسبب هذه العقيدة الفريدة من نوعها، يتمكّن هؤلاء الإرهابيين من مواصلة النضال

لأجل غير مسمّى، وجيلاً بعد جيل، ولكنهم ليسوا متفرّقين عن بعضهم، فهم جزء لا يتجزأ من جيلهم الكامل. وواحدة من نقاط القوّة العظيمة لديهم هي أنّ المسلّحين لديهم مصنع فكريّ لغسل دماغ شبابهم. وغسل الدماغ هذا هو عمليّة مستمرّة من غير توقف، وهناك دائماً طابور طويل من أولئك الذين يريدون أن يتجنّدوا للاستشهاد.

إنّ الإرهاب الحديث من ثمّ خطر كبير ومستمرّ على عالمنا المتحضّر؛ فبعض قوى العالم تشارك في سحق الإرهاب عسكرياً، ولكنّ العمل العسكري وحده لن يكون كافياً للقضاء على هذه الظاهرة.

والسبب في ذلك هو أنّ الإرهاب في الوقت الحاضر هو في الواقع تشدّد تدعمه عقيدة. إذن، فالقضية ليست مجرد سلاح آخر مقابل سلاح آخر، بل هي في الواقع قضية سلاح مقابل عقيدة. فالقنبلة قد تواجهها قنبلة، ولكنّ الفكر لا يواجه بقنبلة. ولأجل هذا، نحن نحتاج إلى عقيدة سلام. لذلك، علينا صياغة مثل هذا العقيدة لنستبعد مفهوم أنّ أيّ شيء قد يكون مقبولاً عن الإرهاب، وهذا يستدعي إعادة تكييف فكريّ للإرهابيين، ومعنى هذا أنّ علينا التخلّص من عقيدة الإرهاب التي تُفعل عقول المتشددين، وتأثير هذا سيكون مثل نزع فتيل قنبلة. ومع هذه الغاية بالذات في ذهني، فقد نشرت ثلاثة كتب، هي: الجهاد الحقّ، والإسلام والسّلام، وعقيدة السّلام، التي تهدف إلى اقتناع المتطرّفين من المسلمين بقبول أكثر الحلول سلاماً. وبعد تجربتنا الناجحة لنزع السلاح النوويّ، يجب علينا أن نتقدّم الآن لفتح جبهةٍ لتحديد فكريّ لخطر الإرهاب، وأمل أن يكون النجاح حليفنا في تحقيق هذه المهمة الأكثر إلحاحاً.



الفصل العاشر: مركز السلام الدولي

لقد أصبح إرساء السّلام أوّل أولويّاتنا، وفي الواقع، فإنّه الحاجة العظمى في نظرنا؛ فقد جعلته ظروف الوقت الحاضر عاملاً حاسماً في بقاء الإنسان على قيد الحياة. لكنّ نشر المناشآت لدعم السّلام أو تفجير مخابئ الإرهابيين ليست الطريقة لإنشاء ذلك السّلام. والحقيقة هي أنّ الإرهاب في العصر الحاليّ يختلف عنه في المرّات السابقة؛ فالمسألة ليست مسألة من يمتلك أسلحة متطوّرة، وتقانة فتاكة، بل هي مسألة عقيدة مقابل تقانة حديثة؛ لأنّ الإرهاب لديه عقيدة كاملة، لتقديم الدعم للإرهاب، ولن يتوقف الإرهاب ما لم يُقضى على هذه العقيدة، فهي سوف تستمرّ على نحو أو آخر.

وبسبب خطورة هذه المشكلة التي لا يمكن إنكارها، فقد أصبح من الضروريّ إنشاء مركز دوليّ للسّلام في موقع تنسيق مركزي، وسيهدف هذا المركز إلى توحيد محبّي السّلام في أنحاء العالم كله، من خلال جهود أدبيّة ووسائل أخرى لتعزيز السّلام، والأهمّ من ذلك كلّ أنّه سيجلب للناس عقيدة مستدامة للسّلام. وباستخدام مجموعة واسعة من الاتصالات الحديثة، فإنّها سينشر ثقافة السّلام على المستوى العالميّ، وسيقضى على عقليّة مقاومة العنف بالعنف، وسوف تسلط الضوء على أهميّة السّلام مقابل العنف.

سيكون مركز السّلام الدوليّ مصنّعاً للسّلام؛ حيث سنصنّع (قنابل) روحانيّة، وستبقى هذه القنابل تمطر روحانيّة السّلام في أنحاء العالم جميعها من أجل إطفاء الحريق العالميّ الذي يشتعل بسبب العنف والإرهاب.

والحقيقة هي أنه لو كان من الممكن وضع نهاية للإرهاب الحديث بقوة البندقية أو القنبلة، لكان هذا قد تمّ فعلاً. المشكلة الفعلية هنا لا تكمن في كيفية وضع حدّ للإرهاب الحديث عن طريق الكفاح المسلّح؛ فقد تمّ فعلاً استخدام القوّة المسلّحة على نطاق واسع، ومع ذلك، فإنّ خطر الإرهاب لم يُقتل. لذلك فإنّ المسألة لا تتعلق بتكرار هذه الطريقة العنيفة، وإنما في أنّ نغيّر استراتيجيتنا لمكافحة الإرهاب في ضوء الخبرة السابقة.

وهذا التغيير قد يعني استخدام (القنابل) السلمية بدلاً من القنابل العنيفة، وسوف يعمل المركز الدوليّ للسّلام حينئذ باسم المصنّع العالميّ الذي ينتج هذه (القنابل) المسالمة والروحانية. ويكون فاعلاً حقاً، لا ينبغي لهذا المركز أن تكون منظمة غير سياسية أو عسكرية بالكامل؛ فأيّ نوع من التداخل السياسيّ أو العسكريّ ستكون نتائجه عكسية. وبذا، فإنه لا يمكن تحقيق هدف السّلام إلا من خلال الوسائل السلمية، لا العنيفة.



الفصل العاشر: مركز السلام الدولي

لقد ظل السلام أمراً مطلوباً لذاته على مر العصور، وشرطاً لتحقيق التقدم البشرية، وما حدث في عصر السلاح النووي الحالي، أن السلام أصبح مسألة حياة أو موت بالنسبة للإنسانية، فالسلام يعني الحياة وانعدامه يعني أن لا أمل في بقاء البشرية.

يرى الكاتب أن إرساء السلام هو البديل للقناع النووي، ما يفتح أبواب الحياة أمام الفرصة الممكنة كلها للعمل الايجابي قد تبدو الدعوة شبيهة بإزالة سد من أمام النهر، فالحياة، مثل نهر متدفق، تظل مندفعة إلى الأمام يحركها زخم الطبيعة الإنسانية، ولا تتوقف إلا عندما تعترضها سدود الحرب والعنف المصطنعة.

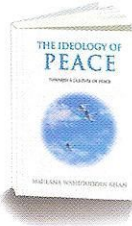
وهو يؤمن أن السلام، على عكس الحرب، يوجد الظروف التي تمكننا من العمل لتحقيق الأهداف البناءة والسعي وراء العدالة من دون عوائق، كما تعتقد أن السلام هو أكبر محفز ومثير لتدفق الأنشطة البشرية المفيدة واستمراريتها.

وعليه، فإن الكاتب يهدف إلى تقديم السلام في صورة عقيدة كاملة - عقيدة توقظ ضمير البشر ما يعطي حلولاً لمشكلات الحياة جميعها، وتؤكد على نشر السلام وأهميته القصوى بالنسبة للفرد والعالم، ويؤكد الكاتب على فكرة أن السلام ليس مجرد خيار وإنما هو مصير.

عن المؤلف

يرأس وحيد الدين خان حالياً المركز الإسلامي في نيودلهي، وهو مؤسسة مكرسة للتعريف بالإسلام من منظور عصري.

للمؤلف كتب عديدة منها: الجهاد الحق، إعادة اكتشاف الإسلام، والإسلام والسلام، وعدة مؤلفات من بين أكثر الكتب مبيعاً.



عقيدة السلام

السلام هدف غال ورغبة أكيدة تتطلع إليها البشرية في تلهف وتشوق، ولا يدرك قيمة السلام الحقيقية إلا من عاش الحرب واكتوى بناهارها، ورأى وسائل الدمار والخراب، وهي تشر الرعب بين الأبرياء، وتهدم المنشآت، وتهلك الحرث والنسل.

ودين الإسلام الذي ينشد السلام ويؤمن به ويحض عليه، وينادي بتعميمه، لا يؤمن به إيمان من يتحدث عنه ويردده للتمويه وذر الرماد في العين، بل هو عنده عنوان وشعار يردده المسلمون في العبادة وفي التحية وفي كل آن وفي كل مكان.

عقيدة السلام معناها أن لا أحد يهين كرامة أحد، ولا يستعبد إنسان أخاه الإنسان؛ عقيدة السلام في الحرب هو لتحرير العباد من أئمة الإجرام والضلال؛ بيد أن السلام في الإسلام هو الأصل، ولا يلجأ إلى الحرب إلا لمنع الاعتداء وردة، ودرء الفساد وأده، بل يصرح كتاب الله تعالى بأن الثمرة المرجوة في اتباع الإسلام هي الامتداء إلى طريق السلام، ويفهم ذلك من قول الله عز وجل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥﴾ يَهْدِي بِهُ اللَّهُ مَنَ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

ISBN: 978-603-503-525-5



9

786035

035255



موضوع الكتاب:
الإسلام - مبادئ عامة